د. مُحَمَّد البشير رازقي، منطق الإصلاحات في مدينة تونس من خلال جريدة الرائد التونسي (١٨٦٠-١٨٨١م)، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص١٠٥- ١٣٨

منطق الإصلاحات في مدينة تونس
من خلال جريدة الرائد التونسي (١٨٦٠-١٨٨١م)

د. مُحَمَّد البشير رازقي•
جامعة تونس الأولى- تونس

الملخص:

فرض منطق الإصلاحات في البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على الفاعلين الاجتماعيين تمشيًا جديدا للحكم، وهذا المنطق يفترض فاعلين اجتماعيين جدد وإدارة ومؤسسات (الاختصاص/ البيروقراطية/ انتقاء الموظفين...) وقوانين مُستحدثة تعتمد أساسًا على متغيّر المهارات والإمكانيات الفردية ومنطق الإدارة الحديثة على حساب معايير سابقة مثل الشرف والولاية الصالحة والعائلة والمكانة الاقتصادية، ولهذا نلاحظ انقطاعًا نشأ مع هذه الإصلاحات. وقد تبيّن لنا من خلال هذا البحث الدور المهمّ الذي لعبته صحيفة الرائد التونسي في بلورة روح زمنها ومحالة رجال الرّائد تشكيل تطوّرات وتغيّرات من أجل تجاوز "سقف" الأزمات التي عايشتها البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر، وبالتحديث سنوات قليلة قبل الاستعمار الفرنسي (١٨٨١م). فقد أبرز القياديون الجدد أو ما اصطلح على تسميتهم بـ"رجال الإصلاح" وعيًا بأهمية "التطور الاجتماعي"، ولهذا اُتّخذ الرائد منصّة وحاملاً مهما لبثّ أفكار مهمة وطريفة ومُستحدثة غايتها المساهمة في تغيير المجتمع التونسي نحو الأفضل.

نلاحظ إذا تمتّع البلاد التونسيّة قبل انتصاب الحماية الفرنسيّة بمجموعة مهمّة من مرتكزات الحداثة، وهي توسّع التمثّلات الجغرافيّة والتاريخية للفاعلين الاجتماعيين، وتقدّم العلم والعلماء والتقنية إلى مكانة "القيمة" لا الوسيلة خاصة في ميدان الصحة والعلاج، كما

سجلنا بروز إرهاصات الرأسمالية وترسّخ "زمن القومية"، إلى جانب مُعطى مهم جدا وهو احتكار الدولة للتشريع وخاصة استحواذها على مجال الدين، وهذا الذي أدى إلى بروز نخبة إصلاحية إدارية بدأت تُعوض شيئًا فشيئًا النخبة الدينية.

الكلمات المفتاحية: جريدة الرائد التونسي؛ القرن ١٩م؛ القياديون الجدد؛ مدينة تونس؛ الإصلاح.

The Logic of Reforms in Tunisia Through the Newspaper Al-Raed Al-Tounsi (1860- 1881)

Mohamed Bechir Rezgui
University of Tunis - Tunisia
Rezgui.medd@gmail.com

Abstract:

The logic of reforms in Tunisia during the second half of the nineteenth century imposed on social actors a new approach to governance. This logic assumed new social actors, management and institutions (specialization/ bureaucracy/ employee selection ...) and new laws that depend mainly on the variable of skills, individual capabilities and the logic of modern management. All of these were at the expense of earlier criteria such as nobility, family, and economic standing. That is why we notice a discontinuity that has arisen with these reforms.

This paper shows the important role that Al-Raed Al-Tounsi newspaper played in crystallizing the spirit of its time and the role of its men in shaping developments and changes to overcome the "ceiling" of the crises that Tunisia experienced during the nineteenth century. The new leaders, or what has been termed as "reformers," have raised awareness of the importance of "social development," and for this reason, Al-Raed was an important platform for transmitting important, novel and innovative ideas aimed at contributing to the change of Tunisian community for the better.

This is evidence that Tunisia had, before the imposition of the French protection, an important set of foundations of modernity, which are the expansion of the geographical and historical roles of social actors, and the advancement of science, scientists and technology to the position of "value" rather than the means in the field of health and treatment, as well as the emergence of the precepts of capitalism and the consolidation of The "time of nationalism", in addition to a very important factor, which is the state's monopoly on legislation, especially its acquisition of the field of religion, which led to the emergence of an administrative reform elite that gradually began to replace the religious elite.

Keywords : Al-Raed Al-Tunisi newspaper; 19th century; new leaders; Tunis; reform.

المقدّمة:

يمثّل تأسيس الرائد التونسي ممارسة حداثية بامتياز، فقد مثلت هذه الصحيفة حاملاً مهمًا للمعارف والأخبار ولكلّ جديد، فقد عُدّت ممارسات ثقافية مثل انتشار المقاهي وتأسيس الصحف والمسارح وتأسيس المعاهد وطبع ونشر الكتب حوامل مهمة لإنتاج المعرفة وتوسع ممارسات القراءة والكتابة وتناقل الأخبار والمعلومات وانتشار "تجارة الوسائط الثقافية"[١]. وكل هذه الخصائص كانت متوفرة في "زمن الرائد". وقد كان القرن التاسع عشر في جزء كبير منه زمن "المدينة، الصناعة والطبقة العاملة"، وكل شبكات النفوذ والهيمنة تتشابك مع هذه الثلاثية[٢]. وقد تأسّس الرائد في زمن مرتفع الخصوصية، وتكمن أهمية سنة ١٨٦٠م في كونها ذروة تأسيس زمن الإصلاحات[٣]، فمن "حين لآخر يكون هناك عام واحد يُحوّل الأرض من تحت أقدامنا"[٤]. وقد أثّرت مُجمل هذه الإصلاحات في كل البلاد التونسية وخاصّة في الحاضرة، فهذه مدينة كلّ الرهانات وملتقى طرق شبكات المصالح وبناء المكانات الاجتماعيّة[٥]، ولا عجب في هذا فلا "يخرج الخير إلا من تونس"، أي مدينة تونس[٦].

وقد فرض منطق الإصلاحات في البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الفاعلين الاجتماعيين تمشيًا جديدًا للحكم، وهذا المنطق يفترض فاعلين اجتماعيين جدد وإدارة ومؤسسات (الاختصاص/ البيروقراطية/ انتقاء الموظفين...) وقوانين مُستحدثة تعتمد أساسًا على متغيّر المهارات والإمكانيات الفرديّة ومنطق الإدارة الحديثة على حساب معايير سابقة مثل الشرف والولاية الصالحة والعائلة والمكانة الاقتصادية، ولهذا نلاحظ انقطاعا نشأ مع هذه الإصلاحات[٧]. فمنطق الدولة الحديثة ومؤسساتها فرض نفسه في البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٨]، حيث إنّ صدمة اكتشاف الآخر الأوروبي المتقدّم حضاريًّا وتكنولوجيًّا استفزّت "رجال الإصلاح"، فقد فرضت الإصلاحات وتأسيس المجالس نفسها على وعي الفاعلين الاجتماعيّين، فسياق وإكراهات الواقع هي منشأ هو تحوّل و"الأشخاص يوائمون ثقافتهم بمتطلبات التطور الاجتماعي"[٩].

وقد جُوبهت الإصلاحات خلال القرن التاسع عشر بداية من الدولة العثمانية بنقد واعتراض كبير سواء من قبل بعض العلماء أو السكان أو الانكشاريّة[١٠]. ومن أسباب هذا الرفض أنّ "عمليّة التغيير التي جرت في هذه المرحلة كانت شيئًا لم يفهمه سكان الإمبراطورية والدول التابعة لها حتى الجزء المثقّف منهم. فقد كان تغييرًا مفروضًا من الأعلى

ولم يكن مقبولاً بعد من معظم سكان الذين تقبلوا منهج القانون والإدارة ولم يتقبلوا تنظيم المجتمع"[١١]، وضمن هذه الخطاطة عبّر عدد من "الوجهاء" وخاصة رجال الدين عن رفضهم للإصلاحات، وقد أحدثوا تأثيرًا مجتمعيًّا مهمًّا بسبب تمتّعهم بالرأسمال الرمزي، فهم "العلماء الناطقون باسم الشعب المعبّرون عن مظالمه ومطالبه"[١٢]. والوجهاء رفضوا الإصلاحات لرفض السكان لها أولاً، وثانيًا، وهذا الأهم، لأنّ الإصلاحات استهدفت نفوذهم ومكاسبهم ومكانتهم، فالإصلاحات كمنظومة قانونية جديدة هدفها ترسيخ مكانة مؤسسة الدولة كمشرع وحيد وحصري للقوانين ومطبق للعنف الشرعي، لو استمرّت هذه الإصلاحات إلى نهايتها "كانت ستدمّر قوّة الوجهاء المستقلّة ... إذ كان هدف الإصلاحات تأسيس إدارة موحّدة الشكل مركزية ترتبط مباشرة بكل مواطن... وتطبّق بالتساوي على الجميع"، فالعائلات الدينية والتجارية وأصحاب الوجاهة العسكرية والمنافع والامتيازات السياسية والسفارات الأوروبية رفضوا بشدة منطق الإصلاحات[١٣].

كما أنّ السفراء الأوروبيون لم "يقدّموا الدعم إلى الإصلاحيين إلا بشرط واحد هو أن لا تمسّ الإصلاحات بمصالح الدول الأوروبية"[١٤]. وقد كانت السفارات فاعلة في تاريخ البلاد التونسية خلال النصف لثاني من القرن التاسع عشر، ففي سياق ثورة ١٨٦٤م كانت بريطانيا "موقفها واضحًا حيث رفضت بصفة مطلقة الإطاحة بنظام محمد الصادق باي. وكان ذلك مؤثرًا أيضًا على مسار الثورة ومن أسباب فشلها"، كما كانت بريطانيا ضدّ سياسة إلغاء الإصلاحات عكس فرنسا التي طالبت "عن طريق قنصلها العام بتونس بإلغاء عهد الأمان والدستور ... الفرنسيون اعتبروا أن الإصلاحات كانت في صالح إنجلترا"[١٥]. ولهذا فقد مثّل النصف الثاني من القرن التاسع عشر منعرجا مهمّا مؤسساتيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، فقد "كان من المرجّح تمامًا أن يتحوّل الاقتصاد العالمي الذي تحدّدت خطواته بفعل تطوّره نفسه أو تطوّر نواته الرأسمالية إلى عالم يُهيمن فيه المتقدّم على المتخلّف، أي باختصار إلى عالم إمبراطوريّة"[١٦]. وهنا يمكن أن نفهم الصراع بين قنصل فرنسا وانجلترا وإيطاليًّا على الهيمنة على البلاد التونسية، ونفهم أيضًا سعي كل منهم إلى فرض خطاطة قانونية تترجم المصالح وخريطة النفوذ.

قسّمنا هذا البحث إلى ثلاثة عناصر أساسية، وهي "الحداثة وتنوّع الأزمنة" و"الرائد ومسالك التحضّر" و"الدّولة سياج العالم". وإشكاليتنا الرئيسة هي تبيّن علاقة "رجال الرائد"

في التأسيس لحداثة متشابكة مع زمانها ووقتها وساعية إلى تلبية رغبات المجتمع التونسيّ وتجاوز عوائقه وصعوباته قُبيل وصول الاستعمار الفرنسي سنة ١٨٨١م. فكيف برز منطق الإصلاح من خلال صفحات جريدة الرائد التونسي؟ وماهي طبيعة جغرافية النفوذ المتشابكة مع مسالك التحضّر التي سعت الإصلاحات لتأسيسها؟ وما هي علاقة الإصلاحات ببروز متنفذين جدد مُنافسة لطبقة حاكمة راسخة ذات نفوذ تاريخي؟

أولاً: الحداثة وتنوّع الأزمنة:

يتبيّن لنا من خلال مقالات الرائد توسع تمثّلات التونسيين الزمنيّة، حيث نسجّل اهتمامًا وتتبعًا لطبيعة وخصائص وأزمنة الشهور الميلادية والهجرية والقبطية والسريانية والفارسيّة، والاختلاف بين أسمائهم وأيامهم وشهورهم[١٧]. وتتبعًا للاختراعات الجديدة مثل "ساعة كبيرة دقيقة غريبة اكتشفها أحد مشاهير مهرة أرباب الصنائع الميكانيكية بباريس... وهي ساعة غريبة يستدلّ منها على معرفة الأيّام والأسابيع والشهور والسنين وفضلاً عن تبيينها الساعات الزمنيّة والدقائق والثواني فإنّها تبيّن أيضًا تنوعات الوجوه القمرية والتغيرات الجوية"[١٨]. ويُحيلنا هذا النصّ إلى الدقّة التي أصبحت تقسّم الزمن الاجتماعي اليومي لمشرفي الرائد من الماكرو أي الزمن السنوي إلى الميكرو أي زمن الثواني.

وقد ساهم التطوّر التكنولوجي في بلورة تمثّلات جديدة وحديثة للزمن، فتطوّر التصوير الفوتوغرافي ساهم في تخليد اللحظة "بطرفة عين" مثل اكتشاف جديد يصوّر الأشياء "بسرعة عجيبة ... فقد صور نقطة ماء وهي ساقطة على زهرة والصاعقة وهي منقضة من الجو والرصاصة وهي خارجة من فم البارودة"[١٩]. كما ساعد تأسيس الخطوط الحديدية وبعث مؤسسة البريد وشركة النّقل بالعربات المجرورة بالخيل وأيضا البحريّة في ترسيخ تحوّلات وانضباط ودقّة على مستوى تقسيمان زمان الحياة اليوميّة. حيث نجد مثلاً إعلان شركة السفن والنقل البحري الإيطالية: ترتيب سير السفن: من تونس إلى كالياري- جنوا: ذهابا في غرة كلّ شهر وفي اليوم الرابع عشر، من جنوا إلى كالياري وتونس كلّ عاشر وخامس وعشرين من كلّ شهر"[٢٠]. وخدمة العربات المجرورة بالخيل بين تونس حلق الوادي، وتونس وباردو: من أراد الذهاب من تونس إلى أحد المكانين المذكورين يمكنه أن يركب العربة من باب قرطاجنّة ومن باب الخضرا ومن باب سعدون. أوقات سير العربات: من تونس إلى باردو ذهاب: سفرة أولى الساعة الخامسة بعد نصف الليل، الثانية الساعة الثامنة بعد نصف الليل،

الثالثة الحادية عشرة بعد منتصف الليل، الرابعة الساعة الثانية بعد الزوال، الخامسة الساعة الخامسة بعد الزوال..."[٢١]. وقد تميّزت شركة نقل العربات المجرورة بالخيل بالنّظام والدقّة واحترام الزمن[٢٢].

ويُبيّن أحد مقالات الرائد النظرة الجديدة تجاه التاريخ باعتباره "أنفس العلوم التي يتنافس فيها العقلاء" وخاصّة أهل "العصور الجديدة" الذين "رأوا حسن فائدة التاريخ وما نتج عنه لأمم العالم"[٢٣]. ولهذا نلاحظ اتساع المخيلة التاريخية التونسية عموديّا وأفقيّا، فقد أورد الرائد عددا كبيرا من المقالات التي تهتمّ بتاريخ أمم عديدة وفي أزمنة متنوّعة مثل "تاريخ يوليوس قيصر، وتاريخ كريستوف كولومبس، وتاريخ أمريكا قبل اكتشافها[٢٤]. و"تاريخ العرب في الجاهليّة"[٢٥]. والبحث اللساني والتاريخي مثل دراسة "اللغة المسمّاة فينوقرطاجنية[٢٦]، و"ملخّص تاريخ السريانيين والبابليين وهم قدماء العراق والأكراد"[٢٧]. والاهتمام بتاريخ "كشف" القارة الأمريكية[٢٨]. وهذا التنوّع التاريخي حثّت مشرفي الرائد على بلورة رؤى جغرافيّة عابرة للحدود، ولهذا نجد عددا من المقالات التي تدعوا إلى توحّد المسلمين، حيث إنّ "الرائد لم يغادر منذ إنشائه إلى اليوم فرصة مناسبة في سائر ما أورده من الأخبار عن أحوال الدول الإفرنجية إلا وانتهزها للتنويه بوجوب مثل هذا الاتّحاد الذي في يقيننا للدول الإسلامية بدونه مجاراة الدول الأوروبية في القدرة والانتظام"[٢٩]. كما يقدّم لنا الرائد أخبار عدد كبير من دول العالم الاقتصادية والاجتماعية والسياسيّة والثقافية، ويقدّم أحد الأعداد "جدول مساحة الممالك وعدد سكّانها وإيرادها ومصروفها"[٣٠]، ونعثر في مقالات أخرى على أخبار المستعمرات الأوروبيّة مثل الهند[٣١]، و"مستعمرات استراليا"[٣٢]. كما شمل مجال توسّع مجال التمثّل الجغرافي لدى التونسيّين أخبار عن "أصل النّيل"[٣٣]، وأخرى عن عدد سكان "الكرة الأرضية"[٣٤]، وأخبار "الحرب في أوروبا"[٣٥]، واغتيال الرئيس الأميركي لنكولن[٣٦].

- **زمن الرأسمالية:**

نسجّل وعي المشرفين على الرائد بطبيعة التوازنات العالميّة وغلبة منطق الرأسماليّة، ويتبيّن لنا هذا التنافس العالمي حول احتكار النفوذ والأسواق من خلال الصراع بين فرنسا وانجلترا حول "تخفيف مرسوم الكمرك (الجمارك) على عدّة أصناف من البضائع الفرنسية المرسلة إلى بلاد الإنكليز والبضائع الانكليزيّة التي تدخل إلى فرانسا"، واشتدّ هذا الصراع

خاصّة في مجال المنسوجات وصناعة الكاغذ، فقد "شرعوا آنذاك في تجريب بعض النباتات الليفيّة التي تصلح لصنعتهم ليروا أيّ نوع منها أنسب لعمل الورق من جهة الشغل والكلفة، ففي أيامنا هذه من حاول شيء في أوروبا يشتهر خبره بطرفة عين وتأخذ الصحايف في التكلّم عليه ويُباشر النّاس في تجربة ذلك الشيء حتّى يبلغ في أقرب زمن إلى إحدى غايتيه إمّا الإهمال أو الإكمال"[٣٧].

وقد فرض السياق العالمي على الرائد الاهتمام بمسألة "ماهية وأصل التجارة" و"منافع التجارة" و"الصناعة" من دون نسيان أهميّة "الفلاحة"[٣٨]. وتدلّل مقالات الرائد على تشابكها مع رهانات زمانها، حيث تُحيلنا بعض المقالات على تشابك الصور النمطية والوصم الاستعماري للمستعمرات مع الرغبة في الربح ومنطق الرأسمالية. ففي مقال بعنوان "رأي الانجليز في أفريقية" نجد أنّه قد "اجتمع كثير من أكابر تجّار الإنكليز في مانشستر للمفاوضة في تشكيل لجنة منهم يكون من همّها تمهيد سبل التجارة بالبضاعة الإنكليزية في أفريقية، ودعوا إلى محفلهم السيّد ستانلي الرحالة المشهور"، وأفريقيا حسب المقال قارة غنية "فيها من الحيوان والمعدن والنبات ما في سائر القارات بل هي أوفر من أوروبا وأمريكا ثروة لأنّها بكر لم تعبث بها أيدي المكتشفين"[٣٩]، ويُعدّ مصطلح "بكر" من أخطر الصور النمطيّة التي شرعن بها الاستعمار هيمنته على أراضي وشعوب كثيرة. وقد وظّف مصطلح آخر وهو "المدنيّة" لشرعنة السيطرة على الأراضي والبلدان، ففي مقال بعنوان "إدخال التجارة إلى إفريقية" نجد أنّ "الآراء الآن متوجهة إلى إفريقية، وقد اتخذت بعض الأمم جميع الوسائل لتوسيع نطاق علاقاتها التجارية في دواخل هاته القارة لفتح باب التمدّن فيها"، ولا يمكن أن نعزل منطق "التمدّن" على السياسة التبشيريّة أو البحث العلمي والأكاديمي، وهذا الذي يبرزه نفس هذا المقال حيث نجد "المساعي التي سعى فيها أحد قسّيسي الإنجليز ليُحوّل أمّة الزولوس إلى الديانة النصرانية"[٤٠]. ولهذا فقد "قرّ قرار الجمعيّة الملكيّة الجغرافية على بذل ما في وسعهم للاكتشاف على داخلية قارة افريقية وإدخال التجارة الأوروبيّة إليها ... ليس بخاف لدى كلّ ذي بصيرة أنّ السفن البخارية قد صيرت المخابرات سهلة جدًّا بين شرقي أفريقية وأوروبا... ولا بدّ من أن تكون باعثًا عظيمًا على ترويج مصالح التجارة في داخلية القارة"[٤١].

ويُحيلنا مقال آخر إلى اشتداد المنافسة بين الدول الرأسمالية وبداية تزعزع مكانة بريطانيا كقوة عظمى وحيدة، فمنذ "خمسين عامًا" كانت معامل "لانكشير" لصناعة القطن "تقصدها"جميع أمم الأرض "أمّا الآن فقد أشرف على الزوال عزّ هذا الإقليم وكسدت سوق

تجارته وتوقّف دولاب معامله، فإنّ أكثر أهالي أوروبا وأمريكا قد فتحوا معامل لنسج الأقمشة القطنية في بلادهم وأخذوا يبارون الأقمشة البريطانية في الجودة ورخص الثمن وصاروا ينقلون ما زاد عن احتياج بلادهم إلى أقطار الدنيا وصاروا يضرّون بتجارة الإنجليز...بل أنشؤوا معامل في الأقطار الهنديّة في قلب استهلاكاتنا وفي مركز التجارة البريطانية"، وكان من توصيات المشرفين على مصالح التجارة البريطانية أنّه "علينا أن نفتح أبوابًا جديدة في أراض جديدة للتجارة مع قوم يحتاجون إلى أموالنا...وهذه البلاد التي نحن عازمون على افتتاح التجارة فيها هي قارة أفريقية"[٤٢].

ولم يكتفِ مشرفو الرائد على مواكبة نهم الرأسماليّة، بل تعدّدت المقالات التي تتحدث عن أحوال أوروبا الداخلية خاصة الاحتجاجات والثورات وأهمها "كومونة باريس" (١٨٤٨م)، والطريف أنَّ مقالا ذكر كارل ماركس باعتباره أحد محرّكي هذه الثورة، حيث نجد "قرأنا في أحد جرنالات (Journale: أي صحف) إيطاليا أنّ المحركين للثورة رجلان أحدهما ألماني اسمه كارل ماركس وهو مقيم الآن بلندن والآخر آسي...وآسي هذا كان مديرًا وناظرًا على الصناع في معمل ... وأمّا السيد كارل ماركس فقيل أنّه كان كاتب سرّ الكونت بزمارك في ١٨٥٧م"، وقد أبرز المقال وعيًا دقيقًا برهانات هذه الثورة، فقد "سبقت العادة لنابليون وأهل حزبه في تهييج الرعاع وأهل الفساد بدعوى طلب الحرية حتى يكرهها الأعيان والأغنياء ... أما مساهمة بزمارك فقيل فيها أنه قصد بذلك زيادة إضعاف فرنسا حتى تعجز بالكلية عن الفكر في أخذ ثأرها من جرمانيا في المستقبل"[٤٣]. ونتبيّن من خلال أحد مقال آخر الأزمة الشاملة التي مرّت بها أوروبا في سبعينات القرن التاسع عشر، فقد تراكمت الديون على كل الدول، فدَيْن فرنسا مثلاً كان ٨٧٠ مليون جنيه إسترليني[٤٤]، وإذا قسَّمنا مقدار الدين الفرنسي على "الأنفس المتألّفة منها أمّة فرنسا يكون لكلّ واحد منهم سبع مئة فرنك أو ألفان وثمان مئة فرنك على كلّ عائلة"[٤٥]. ومقالات أخرى تتحدّث عن انتشار الفقر في أوروبا مثل مقال حمل عنوان "الفقر في إنكلترة" حيث إن "الفقر المدقع ألقى نفسه في هذه الأيام الأخيرة في بلاد الإنكليز بحيث تعذّر على أهل الإحسان سدّ أبوابهم"[٤٦].

ونتأكّد من وعي الرائد بأهميّة فهم سياق وروح العصر والتشابك أخبار العالم من خلال مقال بعنوان "إحصاء مفيد" وهو عبارة عن "جدولاً يتضمّن تفاصيل ما عليه الدول الستّ في ميزانية المال والرجال"، والدول الستّة وهي الأقوى في أوروبا حينها هي روسيا وإيطاليا

وإنجلترا وفرنسا والنمسا/المجر وألمانيا[٤٧]. وفي مقال آخر نجد إحصاءً لـ "أهل أوروبا وتلامذتها ومدارسها"[٤٨]. ويورد الرائد معلومات عن الفرق في القوّة بين دول أوروبا وأمريكا. فأمّا "الحالة الاقتصادية بأوروبا فهي بالنسبة لأمريكا سيئة جدًّا" بسبب احتواء أمريكا على مساحات فلاحية واسعة وثروات باطنية عديدة "بدون احتياج للخارج ... منفردة عن بقيّة العالم"، كما أنّ أوروبا عجزت عن فرض السياسة الحمائيّة تجاه السلع الأمريكيّة بسبب أنّ "الحبوب والقطن والبترول –زيت الغاز- صارت لدينا من الضروريّات ... وقد فهم الأمريكانيون عاجلاً نفع هذه الحالة وانتهزوا أحسن فائدة منها إذ إنّ صادرات أوروبا إلى أمريكا لم تكن متساوية مع صادراتها المتصاعدة إلى أوروبا...البواخر الأمريكانية لا تأتي عندنا ساعية في الوسق من طرفنا بل تأتي ملآنة وترجع مكتراة"، هذا إلى جانب تخصيص جزء مهمّ لميزانيات الدول الأوروبيّة للتسليح و"ميزانية الحرب" وإهمال الأراضي الفلاحية وعدم استصلاح مساحات واسعة منها و"عدم وجود المواصلات الرّخيصة وسوء توزيع المياه" وثقل الضرائب على الفلاحين، وهذا كلّه عكس أمريكا[٤٩]. إذا فقد "أسهبت الأقلام في هذه الأيّام في ثروة ممالك أمريكا"، فقد تميّزت أمريكا بثروتها الديمغرافية وثروة فلاحيّة هائلة ومناخ مثاليّ يسمح بتنوّع المحاصيل، وبنية تحتية لنقل المنتوجات متمدّدة مرتكزة أساسًا على السكك الحديديّة[٥٠].

وقدّم لنا الرائد في مواضع عديدة الوجه الخلفيّ لمنطق الرأسماليّة المرتكز أساسًا على عامل الربح والفائدة بمعزل عن كلّ ما هو إنسانيّ، فقد "حدثت مناظرة في مجلس الأمّة بإنكلترة في أمر تجارة الأفيون في الهند، فحكم الجميع أنّها عار على إنكلترة لكن لم يروا وجوب إبطالها لأنّه يدخل لهم منها في الهند تسعة آلاف ألف ليرة إنكليزية"[٥١]. فمنطق الربح هنا تغلّب على أضرار تجارة الأفيون الصحية والاجتماعية في دول المستعمرات.

ثانياً: الرائد ومسالك "التحضّر":

استند الرائد باعتباره حاملاً أساسيًّا للحداثة على مسالك عديدة للتحضّر ونشر المعرفة والأخبار والجديد. فقد اعتمد على تقنية الإشهار كوسيلة مهمّة للإخبار، فقد ورد في أحد المقالات: "يوجد الآن بحاضرتنا المحميّة صبّاغ ابتدع صيغ الحرير ... وما يلحق به كقلوب بدون العصفر ... وهو في غاية الثبات لا يؤثّر فيه العرق"[٥٢]. ونجد في إعلان آخر بداية بروز التصوير الفوتوغرافي الحديث في تونس، حيث تُعلن الصحيفة أنّ "مدام قريغ Greeg التي تأخذ

التصاوير بالطريقة المعروفة بالفوتوغرافية ومحلّ خدمتها بدار في جوار فندق البياض، تتشرف بإعلان أهل هذه الحاضرة المحميّة بأنّها تأخذ الصور بغاية السرعة وعلى أحسن وجه ... وزيادة على ذلك تتعهّد لمن كان يرغب في عدم اطّلاع الناس على تصويرته بأن تفسد الأصل الذي تؤخذ عليه التصويرة بعد الفراغ من عمل عدد النسخ التي تُطلب منها"[٥٣]. ونجد في مقال آخر إعلانًا عن "فوتوغرافيًّا" وهو "اختراع جديد: فرصة وحيدة لمدّة شهر فقط. إنّ المعلّم دوسه Dussa المقيم الآن في دار أبي ناعورة المعروفة ببيت عزريا بقرب قنصلية هولندا يصنع التصاوير بالفوتوغرافية بسعر ثلاثة ريالات الصورة فأكثر، ويتكفّل لمن يريد أخذ صورته بأنّه تكون مشبهه له تماما. ولصاحب الصورة الاختيار بقبول الصورة أو عدم قبولها أن لم تعجبه. ومن شاء أن تؤخذ له صورته في داره فالمعلّم دوسه يتوجّه إليه بآلة الفوتوغرافيات، وتؤخذ الصورة باننا دقائق قلائل"[٥٤].

كما نقل الرائد أشكالاً مختلفة من المثاقفة مثل نقله لما يحدث بـ "بالمسرح بالقاهرة" خاصّة "الأوبرا التي يكون التمثيل فيهما كلّه بالغناء"، وخاصّة الأوبرا الحديث "أوبرا عايدة" التي أنتجها "الإيطالي الشهير السيد فيردي لينشي ... موضوعها مأخوذ من تواريخ مصر القديمة"[٥٥]. وقد سعي "المتنفّذون الجدد" من خلال الرائد إلى تشكيل شبكات علاقات عابرة لحدود الدولة مثل نشر مقالات لبطرس البستاني ولغيرهم من أهل الشرق، أو ترجمة مقالات لعلماء أو صحفيين فرنسيين وانجليز. كما سعوا إلى تشكيل فضاء جغرافي واسع من خلال الاهتمام بعدد بأخبار عدد كبير من بلدان العام، وأيضا تشكيل مخيّلة وتمثّلات تاريخية ممتدّة في القدم وغير محصورة في تاريخ البلاد التونسية. نلاحظ إذا الوعي بأهميّة الاهتمام بـ "الإنسان" و"الزمان" و"الفضاء أو الجغرافيا" من أجل تغيير حال البلاد التونسية في زمن الأزمة.

كما نلاحظ من خلال أعداد الصحيفة تطوّر الممارسات الثقافية وبداية بروز ثقافة الاستكتاب والنشر في الصحف خاصّة العابرة لحدود الوطن، مثل "إعلان" عن "الاكتتاب لصحيفة الجنان وسائر الصحائف التي تنشر ببيروت بحانون النبيه العدل سي محمد الطواحني الكتبي"[٥٦]. كما نلاحظ تشابك البلاد التونسية مع ثقافات عديدة من خلال عناوين الكتاب المُستقدمة إلى الحاضرة مثل "تاريخ شارلكان" و"تاريخ بطرس الأكبر" و"تاريخ مصر" و"سياحة الهند وسياحة أمريكا"[٥٧]، وكتب أخرى في العلوم الصحيحة تُباع "بحانوت" محمد بن خليل الطواحني مثل كتاب "تذكرة الكتاب في علم الحساب" وكتاب "مواقع الأفلاك في وقائع

تليماك"، وكتب تهتمّ بتعلّم اللغات الأجنبيّة مثل كتاب "هديّة سنيّة في اللغة الإنجليزيّة"[٥٨].

وقد أبرز الرائد من خلال "الإعلانات" بضائع عديدة ومتنوّعة بدأت تدخل إلى منازل التونسيّين سواء الأثاث المنزلي أو أدوات التجميل والتطبيب أو الألبسة، مثل أحد الإعلانات الذي يُعلن أن "المعلّم كاريكو Carrico يحسن التصوير بالشمس ويُركّب النواقيس الكهربائيّة التي تضرب في داخل المحلّ بمجرّد وضع اليد على سلكها ... محلّه بسور سيدي بومنديل قرب دار البوسطة الفرنسية"[٥٩]. ونجد إعلانات تهتمّ بصحّة الجسد وجماله مثل الإعلان عن "أسنان استعاريّة" وهو "اختراع جديد: المعلّم دوسه يضع في الفم أسنانًا استعاريّة بخمسة ريالات السنّ فأكثر، ويتكفّل لمن توضع له بأنها تستمرّ صحيحة مدّة عشر سنين. ويبيع أدوية لحفظ نظافة الفم والأسنان ويصلح أيضًا الأسنان المعطوبة ولا يأخذ إلا أجرة يسيرة"[٦٠]. كما أبرزت أعداد الرائد ممارسات متنوّعة للمؤانسة المتشابكة مع معطى المثاقفة والتحديث مثل مساهمة الأوروبيّين في إدخال احتفال "البالي" إلى البلاد التونسيّة، فقد "عمل السيد روسو مبينة إفرنجيّة من النّوع المعروف باصطلاح الافرنج بلقب بالو في دار قنصليّة فرانسا الجديدة خارج باب البحر"[٦١]. كما كثر استخدام مصطلح "كازينو" في أعداد الرائد، فقد وقع في "بطحا باب البحر" "منتدى التجّار المعروف عند العامّة بلقب كازينو" لصاحبه "السيد فرانكو"[٦٢]. إلى جانب تعدّد المقالات حول المسرح حيث "يوجد الآن في أوروبا ألف وخمس مئة مسرح منها ثلاث مئة وأربعون في فرنسا وثلاث مئة في إيطاليا"[٦٣].

ولهذا يعد الرائد التونسي محملاً مهمًّا للحداثة ومنفذًا مثاليًّا على أخبار العالم، فقد استفادت إدارة الرائد من تطوّر وسائل نقل المعلومة خاصّة التلغراف[٦٤]، والصحف التي تُرسل من أوروبا صحبة السفن مثل"الصّحف الإفرنجيّة الواردة إلينا من الفابور الفرنسية الأخير"[٦٥]. ونتبيّن من خلال مجمل المقالات مواكبة الرائد لتيّارات حداثيّة متشابكة ومتعدّدة مثل بداية بروز الحركة النسويّة في أوروبا حيث "اجتمعت جمعيّة من النساء من عدّة أقطار ألماين في مدينة غوثا والفين حرّضن فيها سائر نساء جرمانيا على أن يتّحدن ويحصلن على حقوقهنّ"[٦٦]، والمطالبة بحقّ الانتخاب حيث "عادت نساء إنكلترة إلى طلب حقوقهنّ في انتخاب نوّاب الأمّة" وأكّدن حقهنّ في "مشاركة الرجال، وقامت إحداهنّ في المحفل خطيبة فقالت: لقد سلبنا الرجال حقوق الانتخاب ولم يرفعوا عنّا الضرائب والرسوم فظلمونا من جهتين"[٦٧]. كما تبرز لنا مقالات أخرى تلاطم الرهانات وتعدّدها مثل حالة تشابك التبشير وممارسات الفنيّة والطبيّة، فقد وقع في مدينة تونس "في دار السيد فدرياني سماع من النوع الذي يقال له

بالفرنسية كونسير وهو غناء مصحوب بعزف آلات الطرب ولا سيما البيانو، والمقصود بهذا العمل جمع مبلغ من الدراهم مددًا للمستشفى القائم بخدمته الراهبات"[٦٨].

ونسجّل بروز المثاقفة اللغويّة وتوسع مجال الإدراك المعرفي والمخيّلة الأبستمولوجيا من خلال الرائد، حيث نجد مثلاً ورود مصطلح "أنسيكلوبيدي" encyclopedia، وهو "مؤلّف على كيفيّة القواميس الإفرنجيّة الجامعة للتواريخ والعلوم والفنون...هذا التأليف لا يوجد على ظنّنا مثله في ما سبق من التواليف العربية"[٦٩]، ولا يمكن أن نُغفل هنا علاقة عصر الأنوار في أوروبا ببداية نشأة الفكر الموسوعي، وموسوعة ديدرو Diddero خير مثال. ونتبيّن من خلال الرائد بروز شبكات معرفيّة متعدّة متخلّلة للجدود الجغرافيّة واللغويّة، فقد حرصت الرائد على ترجمة عدد كبير من المقالات المنشورة في صحف إيطاليّة وفرنسية وإنجليزية وألمانية وتركيّة، كما نلاحظ توفّر الرائد على إعلانات لإمكانيّة توفير اشتراكات بالصحف الأجنبيّة للقرّاء، مثل حالة صحيفة الجوائب التي لها عدد مهمّ من المشتركين في تونس. وهذا الذي يوفّر شبكة معارف ومصالح ونفوذ مهمّة[٧٠].

١. الرائد والعالم:

بيّنت مقالات الرائد أهميّة نشر الكتاب وطباعته وترجمته، وكانت المكتبات التونسية تجلب الكتاب من المشرق لبيعها مثل مكتبة "النبيه العدل سي محمد الطواحبي"[٧١]. كما نلاحظ مساهمة الرائد في نشر المعرفة من خلال إعلانه لصدور الكتاب الجديدة أو إبرازه لأماكن بيعها، فقد طبع مثلاً "ترجمة مفاوضات مؤتمر القسطنطينية في كتاب لطيف من محاسن المطبعة التونسية العامرة، وقد حضر للبيع بالكتبية عند السيد محمد الطواحني وبحانوت السفار الواقع أمام المدرسة الصادقية"[٧٢].

كما أبرز الرائد تشابكه مع زمن العالم من خلال ذكره لأخبار وأرقام وإحصاءات عالمية عديدة، فقد وصل مثلاً "عدد المكاتيب" المتبادلة في العالم "أربعة ملايين ومئتان وعشرون ألف مكتوب في اليوم"[٧٣]. وقد أورد الرائد احتفاءه بتاريخ ميلاد جورج واشنطن[٧٤]. ونتبيّن من خلال صفحات الرائد بداية بروز الأنثروبولوجيا كحقل علمي بدأ يستقلّ عن الغرائبيّة والعجائبيّة، فقد تعدّدت المقالات الناقلة لأخبار سكّان المستعمرات، فقد نُقلت أخبار "الكنبال" ومنهم سكّان قبائل "شواطئ نهر النّيجر من أعمال قارة أفريقية" الذين "يتعاطون أكل اللحوم البشريّة"[٧٥]، وأردت مقالات أخرى نقاشًا مستفيضًا حول "السكّان

الأصليين" مثل "أهل أمركا الأصلين"[٧٦]. وقد تحدّث الرائد عن بداية بروز الاشتراكية "السوسيال" في أوروبا وخاصّة في روسيا، فقد اقتحمت الضبطية الروسية مطبعة استخدمت "لطبع أوراق سوسيالية ... ووجدوا أمورا مهمّة في المطبعة من مواد طبعيّة وأختام نظارات وإدارات وصكوك وكتابات مهيّجة إلى الثورات وعددًا وافرًا من الغدارات والخناجر"[٧٧]. وفي مقال آخر وُصف الاشتراكيون بـ "النيهلست" أي العدميّون، وهذه الحركة "قد شوّشت على الأفكار واتّسع خرقها، فما من يوم إلا وتسمع فيه بغرائب وأمور فظيعة ينفر منها الطبع...تلك الأعمال الاشتراكية لم تكن قاصرة على الفقراء بل دخلت بروج الذوات والأمراء"، وهذه الحركة أصبحت "كشجرة ثبت أصلها وانتشرت فروعها"[٧٨]. ولم يقتصر الأمر على روسيا القيصريّة، فقد وصل مدّة الاشتراكية سريعًا إلى ألمانيا وبقية أوروبا و"حاصله أنّ حزب السوسياليست -الاجتماعيين- قد عراهم هيجان عظيم واضطرمت نيران طيشهم وهمّوا بنيل مرامهم، فإنّ المذابح التي حصلت في روسيا أيّامنا هذه وعود أرباب مشرب الكومون -الإباحيين- من كاليدونيا الجديدة إلى فرنسا وسريان تعاليم الاجتماعيين في ذوي المهنة من سكّة إنكلترة وتقدّم الاشتراكيين من أهالي أمريكا إخوانهم في تعضيدهم ومدّ يد المساعدة إليهم بالأموال والرجال كل ذلك قد بثّ فيهم روح نشاط ... فهمّوا برفع أعلام الثورة"[٧٩].

ونعثر في الرائد على دلائل مهمّة عن بداية تشكّل الصور النمطيّة التحقيريّة والوصم الذي التصق بالاشتراكية منذ البدايات المبكّرة سواء في أوروبا أو في العالم العربي والإسلامي ومن ضمنهم البلاد التونسيّة. فقد أصبح الاشتراكيون كبش فداء ومصدر تهم عديدة، فقد اتّهم الاشتراكيون بارتكابهم لعدة حرائق وقعت "في مدن مختلفة روسية...ألقيت عليهم الشبهة بأنهم وضعوا النار...وأن جمعيّة النيهيليست قد أصدرت أوامرها إلى كثير من الجهات بالروسيا لحرق بعض المدن"، كما اتّهموا بمحاولة اغتيال تاجر "أصيب بضربة شديدة بقضيب من حديد" وسرقوا منه "أربعون ألف روبل"[٨٠]. كما وصم الاشتراكيين بعدد كبير من الأوصاف التحقيريّة، وليس أقلّها "النيهيليت" أي العدمي، وهو وصف يُحيل إلى الفوضى والعبثيّة، وهي صورة بقيت ملتصقة بالاشتراكية لمدّة طويلة. كما نظر أيضًا للاشتراكيين بكونهم متآمرون، فقد وجد في شوارع روسيا ليلاً، كما أخبرت صحف إيطالية، "مئات إعلانات النهيليست المؤذنة بالمؤامرة"[٨١].

٢. هاجس التطوّر. العلم كقيمة:

حرص الرائد على إبراز أهميّة العلوم الصحيحة في تطوّر المجتمعات حيث أنّه "لا شكّ أن علم الطبيعة من أهمّ العلوم"[٨٢]. وقد كرّست روح الأزمة وظرفيّة القرن التاسع عشر هذه النظرة، حيث اشتمل الرائد على مقالات عديدة تتحدّث عن أهميّة اكتشاف "التليفون"[٨٣]، واختراع آلة "الطبخ بحرارة الشمس"[٨٤]، و"اختراع آلة جديدة يحرّكها بخّار الماء الغالي كما يحرّك آلة الفابور"[٨٥]، والتأكيد على أهمية نشر الكتاب والمعرفة و"طبع الكتب ونشرها بين النّاس بأسعار رخيصة" لكي "يقدر على مشتراها الغنيّ والفقير من أهمّ وسائل التمدّن والفلاح"[٨٦]. وقد حرص الرائد على التذكير بأنّ "الإنسان مدنيّ بالطبع"[٨٧]، ولا يمكن للمدنيّة أن تتطوّر بمعزل عن الاختراعات، فقد "قال أحد الأمثال الافرنجيّة: الضرورة أمّ الاختراعات"، و"الاختراعات تزداد مع ازدياد التمدّن"[٨٨]، بل إنّ "السبب الوحيد في تقدّم أهالي أوروبا في الصنائع والاختراعات"[٨٩]. ولهذا نسجّل علاقة عضوية بين التقدّم والتمدّن ومنطق تأسيس العلم كقيمة[٩٠].

ونلاحظ سعي عدد من مقالات الرائد إلى "نزع السحر عن العالم"، فقد نقل على لسان أحد السياسيين البريطانيين أثناء إقامة المعرض الكبير في قصر الكريستال سنة ١٨٥١م: "إنّ دولاب الغزل والسكك الحديدية وكذلك بواخر لاينر والتلغراف الكهربائي، هي بالنسبة لي آيات توحي أننا وفي بعض النواحي في أقل تقدير على انسجام مع الكون، وأن وراءنا روحًا جبّارة تعمل فيما بيننا. إنه الربّ الخالق والمشرد"[٩١]. وقد تميّزت روح العصر زمن الرّائد برغبة عارمة لدى الفاعل الاجتماعي بالتحديث دون التخلّي عن الإطار الديني. فقد كان الرائد محملاً مهمًّا للحداثة ونزع السّحر عن العالم، ففي أحد المقالات التي تناولت ظاهرة الكسوف نجد "الكسوف لا يحدث كلّ يوم، بل ولا كلّ سنة...الكسوف يقع من توسّط القمر بين الشمس وكرتنا، فإن كانت الكراث الثلاث على خطّ مستقيم للناظر كان الكسوف كاملاً ... كانوا يعتقدون أنّ للكسوف تأثيرًا في العالم الأرضي بحدوث حروب وأمراض وما شاكلها كما يعتقد الأغبياء في أيّامنا هذه من أمم المشارقة والمغاربة"[٩٢]. ومقال آخر يتحدّث عن مدى تأثير "السّعد والنّحس والعين" في تغيير مصائر البشر خاصّة وأن "كثيرين من عوام النّاس يعتقدون ببعض خرافات كأنّها حقائق راهنة"[٩٣]، فالعين مثلاً "لا يخرج منها شيء لكي يفعل بالجسم المرئي"[٩٤].

٣. الحداثة والتطبيب:

يُبيّن لنا الرائد تطوّرًا مهمًّا على مستوى الممارسة الطبيّة بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ساهم الأوروبيّون في هذا التطوّر، مثل حالة "السبيسريّة المعروفة بسبيسرية براتس" التي جلبت "من إيطاليا صانعًا ماهرًا في تركيب الأدوية، تعلّم ذلك في أشهر مكاتب إيطاليا"، وقد فتح محلاً في باب البحر[٩٥]. وقد جلب الأوروبيون معهم أنواعا عديدة من الأدوية مثل "حكك طوابع للكحّة"[٩٦]. وقد سعت السلطة التونسية إلى تحديث ميدان الطبّ، حيث زار الإيالة عدد كبير من الأطبّاء أشهرهم "كلوت بيك"، الذي وصل للبلاد سنة ١٨٤٥م قادمًا من مصر حيث أسّس "مدرسة الطبّ الجديدة" هناك، وقد جلب معه كتبا مترجمة عديدة "من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ... ولا سيما الكتاب المسمّى بكنوز الصحة الذي ألّفته في الطب الشعبي"[٩٧]. وقد اشتمل كتاب "كنوز الصحة ويواقيت المنحة" على سبعة أقسام تُحيل إلى بواكير نشأة الطب الحديث في العالم العربي والبلاد التونسية[٩٨]. وقد ساهم كلوت بك في تأسيس نواة الطب الحديث في مصر بداية من زمن محمد علي[٩٩]. وقد أبرز الرائد اطلاعه على آخر الاكتشافات العلمية الطبية مثل أنّ "غلي ماء الشرب على النار ... لأنّ الغلي يهلك الدود الذي في أثناء الماء - المكتشف بالمرآة العظيمة"[١٠٠]. كما أصبحت البلاد التونسية قبلة لكل اختراع طبي جديد، فقد أورد أحد مقالات الرائد إعلان عن "حبوب هولوى: هذه الحبوب المخترعة من دكتور توماس هولوي أحد مشاهير أطباء الإنكليز التي لا تصنع إلا في محلّه وتحت نظره الخاص وهي ذات منفعة عظيمة ولها خواص تصلح لشفاء كثير من الأمراض كمرض المعدة والحمّة الصفراوية"[١٠١].

وقد مثّلت لحظة تأسيس المستشفى الصادقي ذروة التطوّر الطبي في تونس قُبيل الاستعمار الفرنسي. فرقابة الدولة وهاجس الإحصاء نستشفّها من القوانين التي صاحبت تأسيس المستشفى الصادقي في سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، حيث نجد عدّة قوانين تسعى إلى مراقبة جسد المريض وتوجيه تصرّفاته وحركاته[١٠٢]. حيث "إنّ كلّ إنسان من الداخلين المارستان عليه باتباع الوصايا وامتثال قول الطبيب والمكلّفين به"[١٠٣]. والمستشفى الصادقي يستطيع إيواء أربع مئة مريض[١٠٤]. كما نجد "يُجعل بالمارستان حمّام بخاري وأحواض للماء المسخّن" للمرضى، و"يُعطى للمريض الغذاء ثلاث مرّات في اليوم"[١٠٥]. كما نجد حرصًا من الدولة على مراقبة السكّان، فقد ورد في قانون المستشفى الصادقي أنّ "كلّ مولود يُولد في الحاضرة يجب على وليّه أن يُلقّح له الجدري قبل بلوغه سنّ الثلاثة أشهر"[١٠٦]، ومن هنا "يجب

على كلّ محرّك في أيّ حومة كانت أن يخبر شيخ المدينة أو أحد مشايخ الربضين بازدياد المولود الذي يُولد في حومته وعلى الشيخ أن يُعطيه براءة في ذلك وأن يُعلم ناظر المارستان بما أخبر به ليرسّمه حتى يعلم أنّ وليّ المولود أدّى واجبه في وقته أم لا"[١٠٧]. والدولة هنا أصبحت تتدخل في الشأن العائلي من خلال المراقبة والعقاب أيضًا، حيث إنّ "إذا أخلّ وليّ المولود بواجباته فعليه عقوبة سياسية لما تسبب فيه من الأضرار"[١٠٨]. ومن هنا على "وليّ المولود أن يأخذ من الطبيب الذي يُلقّح له شهادة بالتلقيح براءة لذمّته"[١٠٩]. كما اعتمد المستشفى الصادقي على تنظيم دقيق في ترتيب وتبويب المرضى وأنواع المرض وأساليب علاجهم. فقد أُخضع الجسد نهائيًّا لأساليب التطبيب الحديثة[١١٠]، "الناس وجدوا أجسادهم فجأة وقد تعقبتها النظرة الطبيّة الثاقبة...من الميلاد إلى الوفاة، من المهد إلى اللحد"[١١١]. وقد ساهم المستشفى الصادقي في مداواة الفقراء، أي "قبول مرضى الفقراء مجانًا، وأمّا الأغنياء فمن أراد الإقامة فيه فإنّه يجد أحسن فراش وأبرّ خدمة وألطف أغذية مع استمرار عيادة الطبيب وإعطاء الأدوية"[١١٢]. كما فرض المستشفى الصادقي زمنه الاجتماعي المنظّم من خلال تحديد مواعيد زيارة المرضى بدقّة[١١٣]. كما كان المستشفى الصادقي رائدًا وحريصًا على نشر عمليات التلقيح ضدّ الجدري خاصة للأطفال وهي مجانية[١١٤].

ثالثاً. "الدولة سياج العالم"[١١٥]:

١. زمن القومية:

يشتمل الرائد على مصطلحات مهمّة ومُحمّلة بمعاني عميقة متشابكة مع روح القرن التاسع عشر، وهو زمن الدولة السياديّة بامتياز، حيث إنّ "حبّ الوطن من الإيمان"، وشُبّهت بالبلاد التونسيّة بـ"الأمّ البارّة"[١١٦]. فـ "الدين وحب الوطن يحملان على الاتحاد والتعاون وترك أسباب التنافر والتخاذل سيما في هذا الوقت الخطير"[١١٧]. ضمن هذا السباق الحداثي، اعتبر "العالم بستان سياجه الدولة" و"الدولة هي الحافظ لنظام العالم"[١١٨]. وقد حثت الأزمة التي عايشتها البلاد التونسية مشرفي الرائد على محاولة تمثّل جديد وطريف لبلادهم، وضمن هذا السياق يمكن أن نضع مقولة "حبّ الوطن من الإيمان"، حيث تشابك في هذه المقولة زخم القومية المنتشرة في أوروبا حينها، والبعد الديني الضروري وجوده من أجل المحافظة على توازن أهل النفوذ وحماية المصالح في تونس حينها سواء القصر أو علماء الزيتونة أو السلطة العثمانية

التي تسعى لأن يبقى لها نفوذ ولو قليل على السياسة التونسية، كما أن هذا القولة تحافظ على الاستقلال النسبي للسياسة التونسية أما رغبة القناصل السيطرة وتركيز نفوذهم في البلاد. ولهذا فإنّ "أسباب تعاستنا قد حرّك في آمال المستقبل وجرّأني أن أقول لجماهير هذا البلاد الجميلة المركز التعيسة الحظّ أنّ جهلهم حبّ وطنهم آل بهم إلى هذا الحال ولا ينجيهم من الخراب والاندثار التام ويقدمهم بين الشعوب المتمدنة سوى معرفتهم الصحيحة واتباعهم بغيرة لهذا المبدأ الأساسي الذي هو حبّ الوطن من الإيمان"[١١٩]. واحتفاء الرائد بالوطن لم يمنع صدور عدد من المقالات تتحدث عن أهمية وحدة العرب[١٢٠].

وقد برزت ممارسات مهمة مُرسّخة للدولة السيادية ذات الذّاكرة مثل تعدد أخبار المتاحف، وهي "دار الأنتيكة" بعبارة الرائد[١٢١]. وقد اعتمدت الدولة، من خلال الرائد، على وسائل عديدة لفرض هيمنتها ورقابتها مثل إشهار أسماء الفاسدين كحالة العدل محمد النايلي الذي "تعمّد افتعال ما لا يناسب خطّته ولذا صدر الاذن العليّ بانتزاع أمر العدالة من يده وإشهاره بالرائد لينزجر غيره ويحذر من التساهل في مثل ذلك وما بعد هذا الإنذار من إعذار"[١٢٢].

٢. الدولة والإحصاء:

اعتمدت مدينة تونس على عدد كبير من أعوان الضبطيّة لتأمين الحياة اليوميّة. فمنذ لحظة التأسيس أي سنة ١٨٦٠م كان "جملة الضبطيّة بالحاضرة مركّبة من ألف نفر"[١٢٣]، وقد توزّع عدد الضبطيّة بين أربع مئة ضبطي "للمدينة... وكلّ من الربضين ثلاث مئة نفر"، و"المدينة والربضين كلّ منها تقسم إلى ستة مراكز كبار، وتحت كل مركز كبير زوج مراكز صغار"[١٢٤]. وقد تقلّص عدد الضبطية في مدينة تونس بخلاف الربضين في ذي القعدة ١٢٨٨هـ (يناير ١٨٧٢م) إلى حدود ثلاث مئة وثلاثة عون، ولكن المجلس حسب رئيسه كان يحتاج خمس مئة وثلاثين عون لكي يؤمّن الحاضرة بطرية جيّدة[١٢٥]. وإلى جانب الضبطيّة نجد "العسّاسة المجعولين بأبواب الحاضرة"[١٢٦]. ونجد "في المدينة والربضين سبعين مركزًا عمّرناهم بالضبطيّة" (ذي القعدة ١٢٨٨هـ/ يناير ١٨٧٢م)[١٢٧]. كما نجد "فرغول المخازنيّة الذي يخرج كلّ ليلة من باردو المعمور ليطوف بأحواز باردو المعمور"[١٢٨]. هذا إلى جانب عدد حرّاس المجلس البلدي الذي كان عددهم "في مبدأ انتصاب المجلس" ستّة عشر[١٢٩]. وحراس المجلس البلدي يهتمّون بالجانب التنظيمي والصحي للمدينة، مع ترك الجانب الأمني للضبطيّة.

إذا يُعتبر الاعتماد على أعواد الدولة من أهمّ آليات حماية الدولة لمجالها[١٣٠].

مع تأسيس مجلس الضبطيّة حاولت الدولة أن تفرض هندسة اجتماعية وجغرافية جديدة حيث نجد مثلاً في الفصل التاسع والعشرين من قانون مجلس الضبطيّة أنّ "الحومْ والزناقي والطرقات والأسواق في كلّ من المدينة والربضين تقسّم على المراكز (أي مراكز الضبطيّة) الكبار والصغار بحيث كلّ مركز يعلم الأماكن الذي حفظهم راجع إليه"[١٣١]. بل سعت الدولة من خلال أعوانها من رجال الضبطيّة إلى مسح جغرافية المدينة ليلاً ونهارًا، فهاجس المراقبة هنا واضح، ففي الفصل الثالث والثلاثين من القانون نجد "أنفار الضبطيّة يدورون في الزّناقي والطرقات والحومْ المعدّة لهم حتى يلاقوا من هو قريب منهم من الأنفار ثمّ يرجعوا إلى الجانب الآخر حتى يلتقي مع من هو في تلك الجهة"، وفي الفصل الرابع والثلاثين نجد أنّه "على أنفار الضبطيّة أن يخبروا بعضهم بما يرون من الأمور عند ملاقاتهم في الحومْ وغيرها"[١٣٢]. ونلاحظ من خلال قوانين الضبطيّة رغبة من الدولة في الهينة واحتكار ضبط الحيّز العام، فمثلاً "من يُعطّل الطريق بأيّ سبب من الأسباب لغير ضرورة داعية لذلك يدفع ريالين"، ومن "أفسد الطريق وأخذ منه شيئًا لنفسه أو فلّ سياجًا..يدفع من أحد عشر ريالاً إلى أربعة عشر" و"من قلع شجرًا أو حجرًا ونحوهما من الطريق العامة المملوكة للمارّين يدفع من أجد عشر ريالاً إلى أربعة عشر ريالاً" و"من حفر أساسًا أو حفرة في الطريق..."[١٣٣].

ووعي الدّولة على تكوين أعوان لها يُحسنون العمل والإنجاز والمراقبة والإحصاء جعلها تشترط حسن الكتابة والقراءة خاصّة لأصحاب الرتب الكبيرة، ففي الفصل الرابع والأربعين نجد أنّ "الضبّاط من الرتبة الأولى يكونوا ممّن يُحسن الكتبة والقراءة"[١٣٤]. وحُسن القراءة والكتابة يساعد الدولة ومجلس الضبطيّة على تدوين وحفظ النوازل والجرائم وأسماء المتّهمين والمشتبه فيهم، ومن ثمّة إتقان المراقبة، حيث إنّه يجب توفّر "أزمّة تقيّد فيها ما يقع من النّوازل، واسم فاعلها وتاريخ الواقعة" "في كلّ مركز من المراكز الكبار والصغار"[١٣٥]. وقد سعت الدولة إلى بناء وترسيخ مكانة اجتماعية مُهابة لأعوانها، فقد ورد في أحد قوانين مجلس الضبطية أنّه "على الضبطيّة وضبّاطها أن يتجنّبوا مُخالطة النّاس ودخول القهاوي إلاّ في مأموريّة تتعلق بخدمتهم"، حيث إنّه "على ضبّاط وأنفار الضبطيّة حفظ ناموسهم إذ بغير ذلك لا يتيسّر احترام الأهالي لهم، وبغير احترام الناس لهم لا يمكن إتمام واجباتهم"[١٣٦].

وقد حرصت السلطة التونسية بُعيد تأسيس المجالس على حسن مراقبتها وتنظيمها

للحيّز العام. فقد اتّفقت مثلاً مع المهندس "جاك بوكاره" في أول جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٦٦م بأن يقوم بالتكفّل بتنظيم شوارع مدينة تونس، وقد تكوّن الاتّفاق من خمسة فصول حيث يلتزم خلال المهندس بـ "كنس الطرقات" و"رفع الأزبال" و"رفع الطبعة المتولّدة من طين المطر دون ماء المطر المتجمّع" و "رشّ الطرقات بالماء وقت الحاجة" والاعتناء بأشجار "البحيرة خارج باب البحر" وسقيها بالماء. ومقال هذه الخدمات التزمت الدولة التونسية بأن تدفع له "ثلاثين ألف ريال تونسية صغرى فضّة كل عام، وقد "التزمت الدولة أيضا أن تجعل له آلات في الطرقات ليتيسّر له رشّ ذلك"[١٣٧].

فمنذ تأسيسه سنة ١٨٥٨م كان هدف المجلس البلدي الاعتناء "بسائر مصالح الحاضرة من حفظ أبنيتها وإصلاح المتداعية منها وإصلاح طرقاتها وغير ذلك ممّا يرجع لمصلحة أبنيتها"[١٣٨]. وتعريف الحيّز العام حسب تمثّل الفاعل الاجتماعي الذي يستخدم عبارة "المصالح العامة" هو: "السكك النافذة والطرق المشهورة والأسواق المعدّة لاجتماع الناس والأبنية العامّة كالسنابل والسّور ومجاري المياه والمنافذ المتّخذة لسلوكها تحت الأرض وغير ذلك مما يعمّ مصلحة سائر السكان"[١٣٩]. ولهذا نجد في أحد قوانين المجلس البلدي أنّه "لا يسوغ لأحد من أهل الحاضرة وسكانها أن يشغل الطريق ويضيّقه بوضع الكراريس فيه والعربات المجرورة وسائر الدّواب والأمتعة وغير ذلك ممّا يُعطّل المارّين"[١٤٠]. وقد جعل المجلس حراسًا لحراسة الطرقات. وقد سعى المجلس البلدي إلى "تبليط الطرق واتساعها لمنع الطين الذي تعوم فيه البلدية مدّة فصل الشتاء كلّه، ثم اتساع حومة باب البحر"[١٤١]. وسعى المجلس البلدي إلى توفير خرائط دقيقة للمدينة، حيث تعتبر الخريطة من أهم طرق فرض السيادة الحصرية على الحيّز و"السيطرة على المكان" وتشكيل تهيئة وممارسة سياسية للفضاء[١٤٢]. وقد ندب لذلك عدد من المهندسين الأوروبيين من أجل "عمل رسم المدينة كلّها وبهذا الوجه يكون للدولة أساسا صحيحا لكلّما يلزم عمله في المدينة من استواء الأرض وشقّ محجّات جديدة وتسوية القديمة والتنوير والخنادق وغيرها"[١٤٣]. وهذا ما تؤكّده وثائق أخرى، حيث نجد مثلا: "لمّا استحضرت مهندسين من أوروبا لتصوير رسم الحاضرة قد قصدت بذلك الحصول على رسم مضبوط وصحيح لا على رسم أقلّ صحّة من الرسم القديم الكائن عند الدولة من قبل مدّة المهندس بينوا"[١٤٤].

وقد حرصت السلطة على إحصاء كلّ كبيرة وصغيرة متعلّقة بالحيّز العام أي "الدّيار" و"الدكاكين" والمخازن والمقاهي وغيرها[١٤٥]، وتُخبرنا أحد الوثائق أنّه في سنة ١٢٩١هـ/

١٨٧٤م كان عدد "العتب" في الحاضرة تونس كان ١٩١٤٧ يتوزّعون بين المدينة ٨٣٦٧، وفي ربض باب سويقة ٦٤٥١ عقّار وفي ربض باب الجزيرة ٤٣٢٩. وعمومًا كان عدد الدّيار في مدينة تونس عمومًا ٩٠٢٦ منزل، وعدد الحوانيت ٥٥١٤ والمخازن ٣٧٨٠، والمقاهي والنزل ٢٧٧، والطواحن ١٥٥، والكوش ٧٨، والفنادق ٢٢١، والحمّامات ٣٨، والمعاصر ١٢، الروابط ٢٩ والجمارك ودار الجلد ٤[١٤٦]. أمّا عدد الكرارس في مدينة تونس خلال نفس الفترة فقد كان ١٣٠ كرّوسة "ملاكة" و١١٥ كرّوسة "معدّة للكراء" و٥٠ عربة على ملك "أربابها" و١٦٥ عربة مجرورة معدّة للكراء[١٤٧]. وخلال نفس الفترة أصدر المجلس البلدي وثيقة أخرى تُحصي "العتب" في مدينة تونس بأكثر دقّة حيث أشارت إلى عقّارات لم تشر لها الوثيقة الأولى، حيث نجد عدد "العلوّات" ٤٥٣ علوّ، و٨ حديقة، و٢٢ زاوية مسكونة، و٢٤ مدرسة، و٢١ تربة مسكونة[١٤٨]. وقد اعتمد المجلس البلدي على أعوانه لمراقبة العقّارات وإحصاءها بدقّة، ويُعدّ "المحرّك" من أهمّ هؤلاء الأعوان، حيث نجد في أحد الوثائق بتاريخ ٧ أغسطس ١٨٧٤م "أجر المحرّكين عن تقييد العتب ومصروف عن وشم عدد الأبواب"[١٤٩]. وقد ساهم تأسيس المجلس البلدي في إعادة توزيع الزمن اليومي لسكّان مدينة تونس، حيث نجد مثلاً في الفصل الثاني من "قانون تنظيف شوارع حاضرة تونس" أنّه "ينبغي على ساير سكّان الحاضرة أن يخرجوا قبل الساعة العاشرة صباحًا من كلّ ما عندهم في ديارهم من الزبلة"، وهذه المعطيات تتدعّم بالفصل الثالث حيث إنّه "بعد الساعة العاشرة المذكورة لا يسوغ لأحد أن يرمي شيئًا من ذلك في الأزقّة"[١٥٠]. بل نجد أنّ هذا القانون هو عبارة عن تسيير حياة السكان زمنيًّا بالارتباط مع معطى النظافة، حيث نجد مثلاً "كنّاسة كلّ حومة تكنس الشوارع ... في الأقل مرة واحدة في كل أربعة وعشرون ساعة"[١٥١].

٣. في البحث عن القانون:

قد شهد ميدان الشريعة خلال القرن التاسع عشر تأثرًا بالتشريعات الغربية بسبب تغيّر موازين القوى، وبرزت مدونات قانونية مختلفة ومتنوعة، و"بهذا تحوّلت المدوّنات القانونية للبلدان العربية إلى نصوص قانونية غير متجانسة ومعقّدة"، و"تحت الضغط الأخلاقي والسياسي المسلّط من الغرب، تقلّصت المدوّنة القانونية الإسلامية بشكل كبير"[١٥٢]. ولهذا فإنّ تقلّص نفوذ المدونة التشريعية الإسلامية كمدوّنة قانونيّة أثّر مباشرة على فاعلين اجتماعيين مهمّين ومتنفّذين وعلى مؤسسات عريقة مثل الفقيه والمفتي وشيخ الإسلام، وتقلّص

النفوذ هذا تواكب مع بروز مكثّف لمؤسّسة الدولة القومية ذات السيادة[١٥٣]، فقد سعت الدولة جاهدة إلى احتكار الشأن الديني، فقد "صارت الشريعة أداة الدولة، إذ لم يكن بالإمكان إخضاعها سوى للدولة ... الشريعة لم تعد تبلغ حتى تجسيدا تقريبيا لذاتها التاريخية"[١٥٤]. فالقانون إذا هو "آليّة قويّة من آليّات الهندسة الاجتماعيّة"[١٥٥]، و"ممارسة القانون في الحقبة الحديثة تعني أن تكون وكيلاً للدولة ...ففي الدولة الحديثة تندمج السياسة وسياسة الدولة مع القانون مُنتجة تقنية إيديولوجية وثقافة قويتين إلى جانب إنتاجها لأدوات قويّة أخرى تُستغلّ في خدمة أغراض الدولة المتمثّلة في صياغة وإعادة صياغة النظام الاجتماعي، الذي يعدّ الهابيتوس Habitus الخاص به هو بالضبط تلك الآلات التي تُنتج المواطن"[١٥٦]. ولهذا "يُعدّ القانون عنصرًا في الاستراتيجيات السياسية، خصوصًا الاستراتيجيات الرامية إلى نسف الخيارات القديمة واستيلاد الجديدة"[١٥٧].

وقد بدأت بعض الآراء تبرز على صفحات الرائد مُحيلة إلى اجتهادات قانونيّة عديدة، مثل إمكانيّة إلغاء "القصاص" أي الإعدام متأثّرة بأطروحات قانونية أوروبيّة، حيث إنّه "في بعض الممالك الإفرنجيّة أناسًا كثيرون يسعون في إبطال القصاص الشرعي أعني الحكم على أهل الجرائر الثقيلة بالقتل ذاهبين إلى أنّ الإنسان ليس له حقّ بقتل إنسان مثله وإن كان من أقبح المجرمين ... إذ يمكن أن يوضع في السجن مدّة حياته أو ينفى من البلاد بالكليّة"[١٥٨]. ومن هنا يمكن لنا أن نتفهّم تخوّف رجال الدين من تركيز الإصلاحات، فمجلس الضبطيّة مثلاً اعتمد آليّات تحقيق واستجواب لم تُقرّها الشريعة ولم يُوجد لها أثر في الشرع مثل التعذيب وتشريح جثث الضحايا لمعرفة سبب الوفاة. فتلك "الإجراءات وأساليب الإثبات والتحقيق الجنائي التي أدخلت حديثًا وغير المشتقّة أساسًا من الفقه الإسلامي"[١٥٩]، أثارت توجسًا لدى أهل الشريعة.

فلا يمكن لنا فهم أزمة البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر بدون موضعتها ضمن إطار عالمي ارتكز أساسًا على التنافس الاستعماري من أجل الهيمنة على الموارد[١٦٠]، ولهذا فإنّ سعي النفوذ الأوروبي لتحوير المنظومة التشريعية المحلية وتعويضها بمدونات قانونية أوروبية هدفه أساسًا ترسيخ الهيمنة والنفوذ من خلال أهم الأدوات وأنجعها وهو أداة القانون والتشريعية، لكونه أداة إلزاميّة. ولهذا فليس "ثمّة شكّ في أن القرن الذي امتدّ من عام ١٨٢٦م إلى عام ١٩٢٣م شهد تدميرا ضخما لمؤسّسات الإسلام بمفهومها الشامل، إذ كانت البنى الاقتصادية والاجتماعية والدينية والقانونية والتعليمية قد دمّرت"[١٦١]، وقد كانت المنظومة

المجتمعية قبل هذه الأزمة، أي قبل القرن التاسع عشر، تسعى أساسا إلى "التكوين الأخلاقي للفرد" من خلال عمل مجمل المؤسسات في المجتمع، عكس المنظومة الجديدة للدولة السيادية التي كانت تسعى أساسا إلى خلق فرد جديد "يرى العالم من منظار الدولة الحديثة وشعبها"[١٦٢]. ولهذا سعى الباي بُعيد تأسيس المجالس إلى التذكير بأهميّة الشريعة ودورها في تركيز القوانين والتنظيمات والدستور وعلاقة مقاصد الشريعة والكليات الشرعية بهذه القوانين، ففي خطاب الباي عند إعلان بدء العمل بالدستور نجده يقول: "الشروع بالعمل بالقوانين التي جعلناها قبلوكم لها من حقوق السكان ومدارها حفظ الأعراض والأموال والأبدان والأديان"[١٦٣]. كما سعى الرائد إلى التذكير في مقالاته بأنّه "على فرض أن تحدث عندنا مجالس للجنايات والمعاملات، فالمرجو أنّها لا تكون مخالفة للشريعة الإسلامية بل يكون مدارها على اعتبار المصالح الوقتيّة وتعيين العمل بما يكون أليق بالحال من أقوال المجتهدين المُستنبطة من نصوص الشريعة"[١٦٤]. ونلاحظ تحسّس مشرفي الرائد من دور الأوروبيين في فرض قوانين على البلاد التونسية، ووعيهم بخطأ إسقاط قوانين نشأت في بيئات خاصّة على مجتمعات مختلفة ثقافيًّا واجتماعيًّا "خصوصًا في هاته الأيام التي حدثت فيها المجالس" و"محاولة تنزيل أحكام بلاد على بلاد أخرى"[١٦٥].

ولهذا نلاحظ اهتمام الرائد بالشأن السياسي سواء التونسي أو الإسلامي أو العالمي. فعلى المستوى المعرفي أعلن عدد من مقالات الرائد عن بيع كتب ذات أبعاد سياسية مثل "واسطة السلوك في سياسة الملوك" و"سلوان المُطاع في عدوان الأتباع"[١٦٦]. كما ساهم الرائد في إخضاع عدد من المصطلحات السياسيّة الخلافيّة "التي التبس معناها على كثيرين" للنقاش مثل مصطلح "الحقوق"، حيث "ذكرنا في الرائد مرارا عديدة بعض أسماء مبنيّة على اصطلاحات الإفرنج تختلف في ظاهرها عمّا اصطلحت عليه العرب"[١٦٧]، ولهذا نلاحظ لدى الرائد سعيا لتهيئة عدد مهم من المصطلحات السياسية ووضعها ضمن السياق الحضاري للبلاد التونسية. وقد اشتملت أعداد الرائد التونسي على "مواعظ" و"حكم" سياسيّة جريئة وناصحة للطبقة الحاكمة وخاصّة للباي، وهذا أمر خطير خاصة وأن الرائد جريدة تُنشر للعموم. نجد مثلاً في أحد الأعداد: "يجب على الملك أن يتّخذ لخاصته من يتجمّل به عند امتحانه ويفتخر به إذا افتخر على أقرانه..."[١٦٨]. وتضمّن مقال آخر "حكاية كليلة ودمنة"[١٦٩].

الخاتمة:

يُشير إيان موريس Ian Morris إلى متغيّر "مفارقة التطوّر"، حيث إنّ "التطوّر الاجتماعي الصّاعد يخلق القوى نفسها التي تقوّضه. يواجه البشر هذه المفارقات كل يوم ويتوصّلون إلى حلول، ولكن كل حين تخلق المفارقة سقوفا صلبة تؤدّي إلى إحداث تغيير تحويليّ حقًّا...إذا لم يجدوا طريقة لتحطيم السقف ستخرج مشاكلهم عن السيطرة"[١٧٠]. وقد تبيّن لنا من خلال هذا البحث الدور المهمّ الذي لعبته صحيفة الرائد التونسي في بلورة روح زمنها ومحالة رجال الرائد تشكيل تطوّرات وتغيّرات من أجل تجاوز "سقف" الأزمات التي عايشتها البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر، وبالتحديث سنوات قليلة قبل الاستعمار الفرنسي (١٨٨١م). فقد أبرز القياديّون الجدد أو ما اصطلح على تسميتهم بـ"رجال الإصلاح" وعيا بأهميّة "التطوّر الاجتماعي"، ولهذا اُتّخذ الرائد منصّة وحاملاً مهمّا لبثّ أفكار مهمة وطريفة ومُستحدثة غايتها المساهمة في تغيير المجتمع التونسي نحو الأفضل. حاولنا أن نبرز في العنصر الأوّل اشتمال الرائد التونسي على أزمنة عديدة، مثل الزمن الاجتماعي وزمن الرأسمالية وزمن الإصلاحات، ولكلّ زمن نواميسه وفاعلوه الاجتماعيّون، ولا يخفى علينا هنا علاقة تنوّع التمثّلات وزوايا النظر تجاه الزّمن بتركيز الحداثة[١٧١].

وقد تبيّن لنا في العنصر الثاني الذي كان بعنوان "الرّائد ومسالك التحضّر" العدد المهمّ من الأفكار والمقالات التي حملت هاجس نشر كلّ جديد ونقله إلى القارئ التونسي، سواء كأخبار مناطق عديدة من العالم، أي توسّع التمثّلات الجغرافيّة للتونسيّين، أو بروز مُعطى "العلم كقيمة" مساهمًا في بناء المكانة الاجتماعيّة والصالح العام، وبرز لنا خاصّة دور الرائد في نشر الثقافة الصحيّة كممارسة حداثيّة بامتياز خاصّة من خلال تقنية "الإعلانات". وتبيّن لنا في العنصر الثالث والأخير وهو "الدولة سياج العالم" ترسّخ مؤسّسة الدولة القوميّة باعتبارها المحتكر الوحيد للتشريع وممارسة العنف والمراقبة من خلال تقنيات عديدة أهمّها الإحصاء.

نلاحظ إذا أنّ تمتّع البلاد التونسيّة قُبيل انتصاب الحماية الفرنسيّة بمجموعة مهمّة من مرتكزات الحداثة، وهي توسّع التمثّلات الجغرافيّة والتاريخيّة للفاعلين الاجتماعيّين، وتقدّم العلم والعلماء والتقنية إلى مكانة "القيمة" لا الوسيلة خاصّة في ميدان الصحّة والعلاج، كما سجّلنا بروز إرهاصات الرأسماليّة وترسّخ "زمن القوميّة"، إلى جانب مُعطى مهم جدًّا وهو احتكار الدولة للتشريع وخاصّة استحواذها على مجال الدّين، وهذا الذي أدّى إلى بروز نخبة إصلاحية إداريّة بدأت تُعوّض شيئًا فشيئًا النخبة الدينيّة[١٧٢].

حواشي البحث

(١) دوريندا أوترام، التنوير، ترجمة: ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي/ مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، ٢٠٠٨، ص٨١- ١٢١.

(٢) إيريك هوبزباوم، عصر رأس المال (١٨٤٨- ١٨٧٥)، ترجمة: فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ص٣٦٩- ٤٠٧.

(٣) أسّست في هذه السنة إلى جانب الرائد التونسي أيضًا المطبعة، فقد أمر محمد الصادق باي في ٢٨ ذي الحجّة ١٢٧٦: "... سرّحنا الوجيه التاجر الإنكليزي السنيور ريشارد كولتا بأمرنا المؤرخ بثاني عشر جمادى الثانية سنة التاريخ لعمل مطبعة باللغة العربيّة وغيرها بحاضرتنا تونس لما فيها من الفوايد التي لا تحصى ولا يفي بها العدّ ولا تستقصي، تطبع بها الصحيفة الدوريّة المعروفة بالجرنال لإفادة عامّة النّاس بالأوامر الحكميّة والأخبار المتجريّة والأسعار الوقتيّة وحوادث الزّمان في قواصي البلدان ... وأن تُسمّي صحيفة الأخبار باسم الرائد التونسي". انظر: الرائد التونسي، العدد ١، ٢٤ محرّم ١٢٧٧/ ١٢ أوت ١٨٦٠، ص١.

(٤) إيان موريس، لماذا يهيمن الغرب اليوم؟: أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل، ترجمة: روان القصاص، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٨، ص٦٣٥.

(٥) براهيم بلقاسم، "مطالب انتفاضة الأرياف لسنة ١٨٦٤ وشعاراتها"، ضمن: انتفاضة ١٨٦٤: رؤى متقاطعة، جمع النصوص راجعها وقدّم لها: كمال جرفال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة/ مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختصّ، تونس، ٢٠١٧، ص ص٣٣- ٤٤، ص٤٢ - ٤٣.

(٦) محمد بن صالح عيسى الكتّاني القيرواني، تكميل الصّلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، مرجع مذكور، ص. (ص).

(٧) Asma Larif-Béatrix, *Edification étatique en environnement culturel: Le personnel politico-administratif dans la Tunisie contemporaine*, Publisud- O.P.U, Paris, 1988, p.61- 89.

(٨) "كان ما يطلق عليه إصلاحات القرن التاسع عشر هو الذي خلق بنية الدولة...لم تكن تلك الإصلاحات مجرّد مجموعة من السياسات التي غيّرت القانون والتعليم والإدارة وغيرها من الأمور المماثلة -مهما كانت درجة أهميتها-، بل رعت نشأة الدولة التي وضعتها بدورها موضع تطبيق في مراحل تطوّرها المختلفة". انظر: وائل حلاق، قصور الاستشراق: منهج في نقد العلم الحداثي، ترجمة: عمرو عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٩، ص١٨٨- ١٨٩.

(٩) إيان موريس، لماذا يهيمن الغرب اليوم؟: مرجع مذكور، ص٧٣٧.

(١٠) أوريل هيد، "العلماء العثمانيون والتغريب في زمن سليم الثالث ومحمود الثاني"، ضمن: الشرق الأوسط الحديث، المجلّد الأوّل، تحرير: ألبرت حوراني/ فيليب خوري/ ماري ويلسون، ترجمة: أسعد صقر،

مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ٢٠١٦، ص ص٤٧-٦٠، ص٥٢- ٥٧.

(١١) ألبرت حوراني، "الإصلاح العثماني وسياسات الوجهاء"، ضمن: الشرق الأوسط الحديث، المجلّد الأوّل، تحرير: ألبرت حوراني/ فيليب خوري/ ماري ويلسون، ترجمة: أسعد صقر، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ٢٠١٦، ص ص١٢٦- ١٦١، ص١٢٨.

(١٢) نفس المرجع، ص١٣٣.

(١٣) نفس المرجع، ص١٤٣- ١٤٥+ ص١٥٤- ١٥٩.

(١٤) نفس المرجع، ص١٥٦.

(١٥) عبدالمجيد الجمل، "بريطانيا العظمى وانتفاضة ١٨٦٤ بالبلاد التونسية"، ضمن: انتفاضة ١٨٦٤: رؤى متقاطعة، جمع النصوص راجعها وقدّم لها: كمال جرفال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة/ مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختصّ، تونس، ٢٠١٧، ص ص١٦٣- ١٨٢، ص١٦٧ و١٧٠.

(١٦) إيريك هوبزباوم، عصر الإمبراطوريّة (١٨٧٥-١٩١٤)، ترجمة: فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١١، ص١٢٢.

(١٧) الرائد التونسي، العدد ١٤، ٧ ذو الحجة ٢٣/١٢٨٢ أفريل ١٨٦٦، ص٢؛ الرائد التونسي، العدد ١٦، ٢٤ ذو الحجة ١٠/١٢٨٢ ماي ١٨٦٦، ص٣.

(١٨) الرائد التونسي، العدد ٦، ١٠ صفر ١٣/١٢٩٥ فيفري ١٨٧٨، ص٣.

(١٩) الرائد التونسي، العدد ٣٠، ١ شعبان ٣١/١٢٩٥ جويلية ١٨٧٨، ص٤.

(٢٠) الرّائد التونسي، العدد ٢، ٢٩ محرّم ١٢٧٧/ ١٧ أوت ١٨٦٠، ص٣.

(٢١) الرائد التونسي، العدد ١، ٢٤ محرّم ١٢٧٧/ ١٢ أوت ١٨٦٠، ص٤.

(٢٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٢٣) الرائد التونسي، العدد ٧، ١٨ صفر ٢١/١٢٩٥ فيفري ١٨٧٨، ص١.

(٢٤) الرائد التونسي، العدد ٣٢، ١٦ ذي القعدة ١٢/١٢٨١ أفريل ١٨٦٥، ص١.

(٢٥) الرائد التونسي، العدد ٢، ١٣ محرّم ١٢٨٠/ ٣٠ جوان ١٨٦٣، ص٢.

(٢٦) الرائد التونسي، العدد ١٤، ٦ ربيع الثاني ١٢٨٧/ ٦ جويلية ١٨٧٠، ص٢-٣.

(٢٧) الرائد التونسي، العدد ٢١، ٢٦ جمادى الأولى ٢٤/١٢٨٧ أوت، ص١٨٧٠، ص٤.

(٢٨) الرائد التونسي، العدد ١١، ١٥ ربيع الأول ١٥/١٢٨٧ جوان ١٨٧٠، ص٣- ٤.

(٢٩) الرائد التونسي، العدد ٤٤، ٧ ذي القعدة ١٢٨٨، ١٢٨٨/ ١٨ جانفي ١٨٧٢، ص١.

(٣٠) الرائد التونسي، العدد ٢٤، ١٩ جمادى الثانية ١٢/١٢٩٣ جويلية ١٨٧٦، ص٤.

(٣١) الرائد التونسي، العدد ٦، ١١ صفر ٨/١٢٩٣ مارس ١٨٧٦، ص١.

(٣٢) الرائد التونسي، العدد ٢٤، ١٩ جمادى الثانية ١٢/١٢٩٣ جويلية ١٨٧٦، ص٣.

(٣٣) الرائد التونسي، العدد ٨، ٨ ربيع الأول ١٢٨٠/ ٢٣ أوت ١٨٦٣، ص٣.

(٣٤) الرائد التونسي، العدد ٦، ١٣ شوّال ١٢٨٢/ ١ مارس ١٨٦٦، ص٣.

(٣٥) الرائد التونسي، العدد ١٦، ٢٤ ذو الحجة ١٠/١٢٨٢ ماي ١٨٦٦، ص١.
(٣٦) الرائد التونسي، العدد ٣٤، ٧ ذي الحجة ٣/١٢٨١ ماي ١٨٦٥، ص٤.
(٣٧) الرّائد التونسي، العدد ٣، ٧ صفر ١٢٧٧/ ٢٤ أوت ١٨٦٠، ص٢.
(٣٨) الرائد التونسي، العدد ٧، ٢ شوال ١٢٨٦/ ٥ جانفي ١٨٧٠، ص، ٤.
(٣٩) الرائد التونسي، العدد ٩، ٢٦ صفر ١٩/١٢٩٦ فيفري ١٨٧٩، ص٣.
(٤٠) الرائد التونسي، العدد ٢٩، ١٩ رجب ٩/١٢٩٦ جويلية ١٨٧٩، ص٤.
(٤١) الرائد التونسي، العدد ١١، ١٦ ربيع الأول ٢٠/١٢٩٥ مارس ١٨٧٨، ص٣.
(٤٢) الرائد التونسي، العدد ٢٠، ١٥ جمادى الأولى ٧/١٢٩٦ ماي ١٨٧٩، ص٤.
(٤٣) الرائد التونسي، العدد ٦، ٥ صفر ١٢٨٨/ ٢٦ أفريل ١٨٧١، ص٢.
(٤٤) الرائد التونسي، العدد ١٧، ٢٣ ربيع الثاني ١٢٨٨/ ١٢ جويلية ١٨٧١، ص٣.
(٤٥) الرائد التونسي، العدد ٨، ٢١ صفر ٣/١٢٩٧ فيفري ١٨٨٠، ص٢-٣.
(٤٦) الرائد التونسي، العدد ٨، ١٩ صفر ١٢/١٢٩٦ فيفري ١٨٧٩، ص٤.
(٤٧) الرائد التونسي، العدد ٢٩، ٢٢ رجب ٣٠/١٢٩٧ جوان ١٨٨٠، ص٣.
(٤٨) الرائد التونسي، العدد ٣، ١٩ محرم ٢٢/١٢٩٨ ديسمبر ١٨٨٠، ص١.
(٤٩) الرائد التونسي، العدد ٤٩، ١٤ ذو الحجة ١٧/١٢٩٧ نوفمبر ١٨٨٠، ص٣.
(٥٠) الرائد التونسي، العدد ٤٩، ١٤ ذو الحجة ١٧/١٢٩٧ نوفمبر ١٨٨٠، ص٢-٣.
(٥١) نفس المصدر، ص٤.
(٥٢) الرائد التونسي، العدد ١٠، ٨ ربيع الأول ١٢٨٧/ ٨ جوان ١٨٧٠، ص٤.
(٥٣) الرائد التونسي، العدد ٣٥، ٣ رمضان ١٦/١٢٨٨ نوفمبر ١٨٧١، ص١.
(٥٤) الرائد التونسي، العدد ٢٦، ١٩ رمضان ١٢٧٧/ ٣١ مارس ١٨٦١، ص٤.
(٥٥) الرائد التونسي، العدد ٤٨، ٥ ذو الحجة ١٥/١٢٨٨ فيفري ١٨٧٢، ص٢- ٣.
(٥٦) الرائد التونسي، العدد ٤٧، ٢٨ ذو القعدة ١٢٨٨/ ٨ فيفري ١٨٧٢، ص٤.
(٥٧) الرائد التونسي، ٢٥، ٢٤ جمادى الثانية ٢١/١٢٨٧ سبتمبر ١٨٧٠، ص٤.
(٥٨) الرائد التونسي، العدد ٢٩، ١٩ رجب ١٢٨٨/ ٤ أكتوبر ١٨٧١، ص٤.
(٥٩) الرائد التونسي، العدد ٣، ١٦ محرّم ٣١/١٢٩٤ جانفي ١٨٧٧، ص٤.
(٦٠) الرائد التونسي، العدد ٢٦، ١٩ رمضان ١٢٧٧/ ٣١ مارس ١٨٦١، ص٤.
(٦١) الرائد التونسي، العدد ٣٧، ٢٠ ذي الحجّة ١٢٧٧/ ٢٩ جوان ١٨٦١. ص.٢
(٦٢) الرائد التونسي، العدد ٢٩، ١٤ شوّال ١٢٧٧/ ٢٥ أفريل ١٨٦١، ص٣.
(٦٣) الرائد التونسي، العدد ١٦، ١٦ ربيع الثاني ٥/١٢٨٨ جويلية ١٨٧١، ص٣.
(٦٤) الرائد التونسي، عدد٤، ٢٤ ربيع الأول ١٢٨٢/ ١٧ أوت ١٨٦٥، ص٣.

(٦٥) الرائد التونسي، العدد ٤، ١٧ صفر ١٢٧٧/ ٢ سبتمبر ١٨٦٠، ص١.

(٦٦) الرائد التونسي، العدد ٩، ٣ ربيع الأول ١٢٩٣/ ٢٩ مارس ١٨٧٦، ص٤.

(٦٧) الرائد التونسي، العدد ١٨، ١ جمادى الأولى ٢٣/١٢٩٦ أفريل ١٨٧٩، ص٣.

(٦٨) الرائد التونسي، العدد ٤٧، ٢٨ ذو القعدة ١٢٨٨/ ٨ فيفري ١٨٧٢، ص٢.

(٦٩) الرائد التونسي، العدد ٤٤، ٧ ذي القعدة ١٢٨٨، ١٢٨٨/ ١٨ جانفي ١٨٧٢، ص٤.

(٧٠) الرائد التونسي، العدد ١٧، ١٣ ربيع الثاني ١٢٨٨/ ٢ جويلية ١٨٧١، ص٢.

(٧١) الرائد التونسي، العدد ٤١، ١٥ شوال ٢٨/١٢٨٨ ديسمبر ١٨٧٨، ص٣.

(٧٢) الرائد التونسي، العدد ١٩، ١٣ جمادى الأولى ١٥/١٢٩٥ ماي ١٨٧٨، ص٤.

(٧٣) الرائد التونسي، العدد ١٣، ١ ربيع الثاني ٤/١٢٩٥ أفريل ١٨٧٨، ص٣.

(٧٤) الرائد التونسي، العدد ٩، ٥ ذو القعدة ١٢٨٢/ ٢٢ مارس ١٨٦٦، ص١.

(٧٥) الرائد التونسي، العدد ١٧، ٢٣ ربيع الثاني ١٢٨٨/ ١٢ جويلية ١٨٧١، ص٣

(٧٦) الرائد التونسي، العدد ٧، ١٨ صفر ٢١/١٢٩٥ فيفري ١٨٧٨، ص٣-٤.

(٧٧) الرائد التونسي، العدد ١٧، ٢٣ ربيع الثاني ١٦/١٢٩٦ أفريل ١٨٧٩، ص٤.

(٧٨) الرائد التونسي، العدد ٢٣، ٦ جمادى الثانية ٢٨/١٢٩٦ ماي ١٨٧٩، ص٤.

(٧٩) الرائد التونسي، العدد ٢٥، ٢٠ جمادى الثانية ١١/١٢٩٦ جوان ١٨٧٩، ص٢.

(٨٠) الرائد التونسي، العدد ٢٥، ٢٠ جمادى الثانية ١١/١٢٩٦ جوان ١٨٧٩، ص٢.

(٨١) الرائد التونسي، العدد ٢٦، ٢٧ جمادى الثانية ١٨/١٢٩٦ جوان ١٨٧٩، ص٢.

(٨٢) الرائد التونسي، العدد ١٢، ٨ ذو القعدة ٩/١٢٨٦ فيفري ١٨٧٠، ص٣.

(٨٣) الرائد التونسي، العدد ٨، ٢٥ صفر ١٢٩٥/ ٢٨ فيفري ١٨٧٨، ص٤.

(٨٤) الرائد التونسي، العدد ٩، ٢ ربيع الأول ١٢٩٥/ ٦ مارس ١٨٧٨، ص٣.

(٨٥) الرائد التونسي، العدد ٣٨، ٢٨ ذي الحجّة ١٢٧٧/ ٧ جويلية ١٨٦١. ص٥.

(٨٦) الرائد التونسي، العدد ١، ٥ محرّم ١٢٨٢/ ٣١ ماي ١٨٦٥، ص١.

(٨٧) الرائد التونسي، العدد ٢٦، ٢٩ جمادى الثانية ١١/١٢٩٤ جويلية ١٨٧٧، ص١.

(٨٨) الرائد التونسي، العدد ٣٨، ٢٨ ذي الحجّة ١٢٧٧/ ٧ جويلية ١٨٦١، ص٥.

(٨٩) الرائد التونسي، العدد ٢، ٩ محرّم ٢٤/١٢٩٤ جانفي ١٨٧٧، ص١.

(٩٠) الرائد التونسي، العدد ٢، ٩ محرّم ٢٤/١٢٩٤ جانفي ١٨٧٧، ص١.

(٩١) بول كينيدي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة: مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص٢٣٧.

(٩٢) الرّائد التونسي، العدد ٣، ٧ صفر ١٢٧٧/ ٢٤ أوت ١٨٦٠، ص٢.

(٩٣) الرائد التونسي، العدد ٩، ١٦ شوال ١٢٨٦/ ١٩ جانفي ١٨٧٠، ص٤.

(٩٤) الرائد التونسي، العدد ١٠، ٢٣ شوّال ١٢٨٦/ ٢٦ جانفي ١٨٧٠، ص ص٣- ٤.

(٩٥) الرائد التونسي، العدد ١٠، ٤ ربيع الأول ٢٤/١٢٨٨ ماي ١٨٧١، ص٣.

(٩٦) الرائد التونسي، العدد ٢٣، ١١ جمادى الثانية ١٢/١٢٩٥ جوان ١٨٧٨، ص٤.

(٩٧) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة، صندوق عدد ٥٥، ملف عدد ٦٠٣، ملف فرعي عدد ١، وثيقة عدد ١٢.

(٩٨) كلوت بك، بواكير الطبّ الحديث: كنوز الصحّة ويواقيت المنحة، دراسة وتحقيق: أميمة فؤاد زهر الدين، شرح وتعليق: يوسف معروف زهر الدين، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٩٩) خالد فهمي، الجسد والحداثة: الطبّ والقانون في مصر الحديثة، ترجمة: شريف يونس، دار الكتاب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٦، ص١١- ٦٥.

(١٠٠) الرائد التونسي، العدد ٢٤، ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٥/ ١٨ جوان ١٨٧٨، ص ٤.

(١٠١) الرائد التونسي، العدد ١، ٩ محرّم ١٢٧٩/ ٧ جويلية ١٨٦٢، ص ٤.

(١٠٢) يشير الأستاذ خالد فهمي في هذا الإطار: "نتيجة هوسها بالتجنيد وبسبب خوفها من الأوبئة استطاعت الدولة المصريّة الحديثة أن تبتدع بيروقراطيّة جبّارة نزعت الأشخاص من محيطهم الاجتماعي وحوّلتهم إلى أفراد تراقبهم من المهد إلى اللحد حرفيًّا لا مجازًا". انظر: خالد فهمي، "من رعايا إلى أرقام: تأسيس نظام الصحّة العامّة في مصر"، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، العدد ١٢٣، عدد خاص: زمن الوباء، صيف ٢٠٢٠، ص ص٩- ٢٢، ص ٢١.

(١٠٣) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ١٠.

(١٠٤) الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٦٢، ملف عدد ٧٠٠، الملف الفرعي ٦، عدد الوثيقة ٥.

(١٠٥) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ٣٨ - ٣٩.

(١٠٦) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ٢٨.

(١٠٧) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ٢٩.

(١٠٨) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ٣٠.

(١٠٩) الرّائد التونسي، الأربعاء ١٣ صفر ١٢٩٦/ ٥ فيفري ١٨٧٩، العدد ٧، السنة ٢٠، الفصل ٣٢.

(١١٠) الرائد التونسي، العدد ٨، ٢١ صفر ٣/١٢٩٧ فيفري ١٨٨٠، ص١- ٢.

(١١١) خالد فهمي، الجسد والحداثة، مرجع مذكور، ص٦٠.

(١١٢) الرائد التونسي، العدد ٩، ٢٦ صفر ١٩/١٢٩٦ فيفري ١٨٧٩، ص٤.

(١١٣) الرائد التونسي، العدد ٩، ٢٦ صفر ١٩/١٢٩٦ فيفري ١٨٧٩، ص٤.

(١١٤) الرائد التونسي، العدد ١٩، ٨ جمادى الأولى ٣٠/١٢٩٦ أفريل ١٨٧٩، ص٤.

(١١٥) الرائد التونسي، العدد ٤٩، ١٠ ذو الحجة ٢٧/١٢٩٣ ديسمبر ١٨٧٦، ص ص١-٢.

(١١٦) الرائد التونسي، العدد ٣، ١٨ محرم ٢٠/١٢٨٧ أفريل ١٨٧٠، ص١.

(١١٧) الرائد التونسي، العدد ٤٤، ٥ ذو القعدة ٢٢/١٢٩٣ نوفمبر ١٨٧٦، ص٢.

(١١٨) الرائد التونسي، العدد ٤٩، ١٠ ذو الحجة ٢٧/١٢٩٣ ديسمبر ١٨٧٦، ص ص١-٢.

(١١٩) الرائد التونسي، العدد ١٢، ٢٢ ربيع الأول ١٢٨٧/ ٢٢ جوان ١٨٧٠، ص ص١- ٢.

(١٢٠) الرائد التونسي، العدد ١١، ١٥ ربيع الأول ١٥/١٢٨٧ جوان ١٨٧٠، ص٣.

(١٢١) الرائد التونسي، العدد ١٧، ٢٨ ربيع الثاني ٢٣/١٢٩٣ ماي ١٨٧٦، ص٣.

(١٢٢) الرائد التونسي، العدد ٦، ٩ صفر ١٢٨٧/ ١١ ماي ١٨٧٠، ص١.

(١٢٣) الفصل ٢١- ٢٦ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠). واستنادا إلى أحد تقارير الضبطيّة بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٧٧ (١٠ سبتمبر ١٨٦٠) كان قادة مجلس الضبطيّة يتكوّنون أساسا من رئيس المجلس أمير الأمراء سليم، وكاهيته أمير الواء مراد، وأمير الآلاي عثمان هاشم، والحاج عمر ثابت شيخ المدينة، وإبراهيم معلاّ شيخ ربض باب سويقة والحاج الطيّب التونسي شيخ ربض باب الجزيرة، وكاتبين. انظر: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة. ٦٧٨٥١

(١٢٤) الفصل الرابع والخامس عشر من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٢٥) السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي عدد ٢٠. عدد الوثيقة ٧٣٢٢٠.

(١٢٦) نفس المصدر، عدد الوثيقة ٧٢٩٩٦.

(١٢٧) نفس المصدر، عدد الوثيقة ٧٣٢٢٠.

(١٢٨) السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢٣. عدد الوثيقة ٧٣٩٩٠.

(١٢٩) السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦١١، عدد الوثيقة ٦٧٥٣٦.

(١٣٠) الصادق بوبكر(تقديم)، أعوان الدولة في تونس الحديثة والمعاصرة، أمل للنشر، صفاقس، تونس، ٢٠١١ المهدي جراد، عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني ١٧٠٥- ١٨٨١، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، ٢٠١١؛ المهدي جراد، تجّار البلاط بإيالة تونس (أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن التاسع عشر)، كلية الآداب والعلوم الانسانيّة بسوسة/ دار الاتحاد للنشر والتوزيع، ٢٠١٧؛ سلوى هويدي، أعوان الدولة بالإيالة التونسية: الأفراد، المجموعات، شبكات العلاقات، ١٧٣٥-١٨١٤، كليّة العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة بتونس، ٢٠١٤.

(١٣١) الفصل ٢٩ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٣٢) الفصل ٣٣- ٣٤ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٣٣) الفصل ١٠- ١٤ من "قانون مجلس الضبطيّة بالمملكة التونسيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٥٠ (٢٢ شوال ١٢٧٩).

(١٣٤) الفصل ٤٤ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٣٥) الفصل ٦٢ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٣٦) الفصل ٦٦- ٦٧ من "ترتيب مجلس الضبطيّة"، الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٢. الملف الفرعي ٢. عدد الوثيقة ٦٧٨٤٦. (١ محرّم ١٢٧٧/ ٢٠ جويلية ١٨٦٠).

(١٣٧) السلسلة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٤٧.

(١٣٨) الفصل الرابع من ترتيب المجلس البلدي: السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٤١ (٢٠ محرّم ١٢٧٥/ ٣٠ أوت ١٨٥٨).

(١٣٩) الفصل الرابع عشر من ترتيب المجلس البلدي: السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٤١.

(١٤٠) الفصل الخامس عشر من ترتيب المجلس البلدي: السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٤١.

(١٤١) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٤٠ (مارس ١٨٤٨).

(١٤٢) جوردن برانش، الدولة الخرائطيّة: الخرائط والإقليم وجذور السيادة، ترجمة: جلال عزّ الدين/ عاطف معتمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٧، ص١٨٨- ١٨٩؛ ديفيد ليفنسون/ تشارلز و.ج. ويزرز(تحرير)، الجغرافيا والثورة، ترجمة: عاطف معتمد/ بدر مصطفى/ عزت زيان، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٧، الجزء الأول، ص ٣٤.

(١٤٣) السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٤. عدد الوثيقة ٤٠ (نوفمبر ١٢٦١).

(١٤٤) السلسلة التاريخية. الصندوق عدد ٥٥. الملف عدد ٦٠٣، الملف الفرعي ١، عدد الوثيقة ٦٧١٨١، (جانفي ١٨٦٤) (كاتبه: أنطون أكاردو).

(١٤٥) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد الوثيقة ٦٧٩٥١+ ٦٧٩٧٤ (١٧ رمضان ١٢٧٦/ ٨ أفريل ١٨٦٠+ ٥ جانفي١٨٧٢).

(١٤٦) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد ٦٨٠٠٨.

(١٤٧) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد ٦٨٠٠٨.

(١٤٨) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦١٩، عدد ٦٧٨٦٩- ٦٧٨٧٠.

(١٤٩) السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٥٦، ملف عدد ٦٢١، عدد ٦٨١٢٢+ ٦٨١٢٠.

(١٥٠) "قانون تنظيف شوارع حاضرة تونس"، السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٦٦، ملف عدد ٨٠٣، عدد ٢٧٢

(١٥١) الفصل الرابع "قانون تنظيف شوارع حاضرة تونس"، السلسة التاريخيّة، الصندوق عدد ٦٦، ملف عدد ٨٠٣، عدد ٢٧٢.

(١٥٢) جون بول شارناي، روح الشريعة الإسلامية، ترجمة: محمد الحاج سالم، مركز نهوض للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٩، ص٥١.

(١٥٣) جاكوب سكوفجارد - بيترسون، إسلام الدولة المصريّة: مفتو وفتاوي دار الإفتاء، ترجمة: السيّد عمر، دار نهوض للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨، ص٢٣- ١١٦+ ص٤٧٥- ٤٨٩.

(١٥٤) وائل حلاق، مدخل إلى الشريعة الإسلامية، مرجع مذكور، ص٢٨١+ ٢٨٦.

(١٥٥) نفس المرجع، ص٢٧١.

(١٥٦) نفس المرجع، ص٢٨٥.

(١٥٧) نفس المرجع، ص٢٨٤.

(١٥٨) الرائد التونسي، العدد ٣٠، ١٧ شوال ١٥/١٢٨١ مارس ١٨٦٥، ص١- ٢.

(١٥٩) خالد فهمي، الجسد والحداثة، مرجع مذكور، ص٧٦.

(١٦٠) أميا كومار باغتشي، العبور الخطر: الجنس البشري والصعود العالمي لرأس المال، ترجمة: عمر سليم التلّ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، ٢٠١٩، ص٤٢٥- ٥٠٦.

(١٦١) وائل حلاق، إصلاح الحداثة: الأخلاق والانسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمان، ترجمة: عمرو عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٢٠، ص١٧.

(١٦٢) نفس المرجع، ص١٩- ٢١.

(١٦٣) الرائد التونسي، العدد ٢٩، ١٤ شوّال ١٢٧٧/ ٢٥ أفريل ١٨٦١، ص١.

(١٦٤) الرائد التونسي، العدد ٨، ٢٣ صفر ٢٥/١٢٨٧ ماي ١٨٧٠، ص ص٣- ٤.

(١٦٥) الرائد التونسي، العدد ٨، ٢٣ صفر ٢٥/١٢٨٧ ماي ١٨٧٠، ص ص٣- ٤.

(١٦٦) الرائد التونسي، العدد ١٩، ٢٢ رجب ١٢٧٩/ ١٣ جانفي ١٨٦٣، ص٤.

(١٦٧) الرائد التونسي، العدد ١٣، ٣ ذو الحجّة ١٩/١٢٨٢ أفريل ١٨٦٦، ص٢.

(١٦٨) الرائد التونسي، العدد ٤، ١٧ صفر ١٢٧٧/ ٢ سبتمبر ١٨٦٠، ص٤.

(١٦٩) الرائد التونسي، العدد ٢٤، ٢٦ شعبان ١٢٧٧/ ٩ مارس ١٨٦١، ص٣.

(١٧٠) إيان موريس، لماذا يهيمن الغرب اليوم؟: أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل، ترجمة: روان القصاص، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٨، ص٧٢٤.

(١٧١) فرانسوا دوس، التاريخ المُفتَّت: من الحوليّات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظّمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٦٥- ٣٧٨. ويشير الأستاذ لطفي عيسى متحدّثا عن البلاد التونسية خلال الفترة الاستعمارية إلى أنّه لا بدّ من الإقرار "بحضور وعي جديد بفائدة ضبط الزمن وتحديده ضمن سياق قرن حادث تسارعت ضمنه التقلّبات وتعدّدت الابتكارات والاختراعات

والاكتشافات، وصار التقويم ضمنه من أوكد ضروريّات الحياة العصريّة". انظر: لطفي عيسى، أخبار التونسيّين: مراجعات في سرديّات الانتماء والأصول، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٩، ص١٨٣.

(١٧٢) وائل حلاق، إصلاح الحداثة: الأخلاق والانسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمان، ترجمة: عمرو عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٢٠، ص١٧.